

نوفيلا
معتز
عرفان
قصة
الخيال
والحقيقة
قصة
الصعود
والهبوط
ذكريات
مخرج
سينمائي
دار عرفان للنشر

معتز عرفان

ذكريات مخرج سينمائي

دار عرفان للنشر

ذكريات مخرج سينمائي (رواية قصيرة)

-١-

- ماذا تفعل يا عزيزي؟

- أراقب الجمال، ذلك الجمال الخلاب، أراقبه بعناية، أراقبه بعناية لعلني أشعل الحواس وألاعب الحيوان وأشاهد الترجمان جالسا أمامي محاولا الوصول، ذلك الوصول المتصل بالكنز المدفون، الكنز المدفون منذ الميلاد، فالبراءة تقتل مع مرور الزمان لتسيطر بيئة النسيان، فمقتل البراءة متصل بالانتهاك ونقص القدرة على التعويض وفتور الطاقات وتأمل الحيوات، ذلك التأمل الذي يحرك السكون ليظهر كل ما كان مخفيا وراء الستار.

- لقد مللت فلسفتك اللعينة، تلك الفلسفة التي لا تفيد ولا تقدم أي جديد، فقد سألتك سؤالا بسيطا، فأخذتني إلى متاهات غريبة، متاهات يعجز عقلي عن مسايرتها وتأمل تفاصيلها والتعرف إلى أسرارها. إن ذهنك لا ينتج سوي السفسطة ولا يفهم سوي الجمال الأنثوي، ذلك الجمال الذي يتناوله معتمدا على صورة معقدة، صورة تجمع بين الفن والفلسفة، فلا يقدم ابتذالا لكنه يقدم جمالا يضاهي جمال ما يري ويوازي حلاوة ما لا يري ويحاكي سحر الوجود، ذلك السحر القابع في القلوب والملاعب للعقول والمهدئ للصدور، تلك الصدور التي تنشرح حينما نهرع وسط الساحات الواسعة والعرصات الجاذبة والصحاري الممهدة.

- لقد تسللت كلماتك إلى عقلي، فأحدثت بداخله ثورة، وقد تذكرت رائحة عطري المفضل حينما حللت ما نجم عنك وأدي إلى ابتهاجي.

- عطرك المفضل، نعم، أعرفه جيدا، إنه L'HOMME IDEAL من Guerlain، ذلك العطر الأنيق الذي كان يرافقنا على طول الطريق، لكنني أتعجب من عدم حلول الملل وأتساءل عن موعد هبوطك أيها العزيز.

- الأرواح الشابة لا تزهق بيسر يا عزيزتي، فروحي مفعمة بالأمل حاضنة للحماسة مدعمة للبشاشة، فقد كنت متكالبا على طول الطريق، وسأظل هكذا إلى الأبد.

- إنها لغة الدنيا يا ولدي، لغة الصعود والهبوط، لغة التعمير والتنكيس، فلا مفر من ذلك ولا مهرب، فالعقل يتجنب هذه الأفكار ليثمر، لكنه سرعان ما يعود إليها في استمرار وإصرار، كاشفا عن الحقيقة ومسببا الحيرة وملاعبا الدواخل ومحركا عشوائية الذهن، تلك العشوائية المتصلة بعملية الاستدعاء التي تحكمنا على طول الطريق.

كنت أتبادل أطراف الحديث حينها مع فتاتي اللذيذة التي تعرفت إليها حينما كنت أدرس في أكاديمية السينما التي أحببت دائما

أجواءها وكثيرا ما تعمقت في مديحها. كنا نقضي الليالي في التنقل بين الكثير من الأفكار التي تخص السينما والفن والفلسفة، لكنها كانت أكثر قدرة على التحليل والبلورة، إلا إنني كنت بارعا في التفلسف والتعليق على التصوير والألوان المستخدمة.

كانت الليالي مفعمة بالحب العذري أحيانا والحب الأهوج أحيانا أخري، وقد ارتبطنا لفترة طويلة وعشنا معا كثيرا ودعمنا بعضنا البعض على طول الطريق، ورغم ذلك لم ننجح في الوصول إلى الحالة الرسمية اللائقة التي كانت تلاعبنا، فتفرقنا عن بعضنا البعض في نهاية المطاف، إلا إنها قد تركت بصمة خاصة وشرخا عظيما بداخلي، وقد عجزت عن التعامل مع ما حدث، ورغم ذلك كانت الصداقة موجودة بعد الفراق وكان الود قائما.

مع الوقت، نسيت كل شيء، نسيت الكثير من الأمور، تجاوز العقل كل شيء، تخلص من الإخفاقات وشحن بالأمل، ورغم ذلك، كانت هناك لحظات سلبية تداهمني بين الحين والآخر، تلك اللحظات المتصلة بالكيمياء وعملية الاستدعاء وما يلاعب العقول ويؤجج الأجواء.

حينما تنهل من نهر الحب، ستجد الخطيئة تلوح في الأفق، ورغم ذلك هناك طرق عديدة للتعامل مع الأمور حينما ينكشف المستور وتظهر الحقيقة، تلك الحقيقة المتصلة بالخضوع، فهناك درجة مطلوبة منه حتى تستقيم الأمور، فلو سيطر التمرد ضاع نصيب المرء في التعلم، وهو ما يمثل الدرس الذي تعلمته مع الوقت ومع التقدم إلى الأمام.

لقد اشتعل الرأس شيبا ونال السقم من عظامي وانحدرت كينونتي التي عرفت بكونها ثرية وتناثرت ملامحي بداخل إبريق يصعب بلوغ قاعدته وصرت أجلس بداخل منزلي دون مغادرة، مع زوجتي الجميلة التي تعرفت إليها في وقت متأخر.

كانت بنتنا الوحيدة التي تزوجت مؤخرا، تزورنا بين الحين والآخر، وكنا نرحب بها ونستجلب الدفء عند قدومها، لكن المشاكل كانت تلاحقها بين الحين والآخر كنتيجة لعدم انسجامها مع زوجها اللعين الذي كان معروفا بكونه بخيلا، فقد كان يدخر المال في شوال ونسي أن مصيره هو الآخر سيكون في شوال سيقذف بداخله علي يد الزمان.

لقد أنفقت الكثير من المال، عشت الحياة في أفضل صورها، حصلت على الكثير من الأشياء، لكنني اكتشفت بعد كل ذلك أن السر كان كامنا في العطاء، ورغم ذلك لا تمنح متعة العطاء إلا في وقت محدد، ذلك الوقت الذي ندرك فيه الحقيقة، تلك الحقيقة التي تخبرنا بأن الإنسان لن يحصد الكثير في نهاية المطاف.

في صغري، كنت مهووسا بالسينما، كنت محبا لأفلام بونويل وسكورسيزي وكوبولا وتاركوفسكي وهيتشكوك، وكنت أشاهد الأفلام الإيطالية صاحبة الميزانية المنخفضة والأفكار الرائعة، فقد أنتجت السينما الإيطالية أفلاما كثيرة احتاجت إلى المزيد من التمويل لكنها لم تنجح في بلوغ ذلك، إلا أن أفكارها كانت عظيمة للغاية، ورغم ذلك خزلتها الميزانية بشكل واضح في الوصول إلى العالمية المرجوة، وهو سيناريو مكرر في الكثير من دول العالم في حقيقة الأمر.

لقد أهدرت الكثير من المواهب على مدار العقود الماضية، الكثير من المخرجين الشبان لم يصلوا إلى ما رغبوا فيه، لم تسنح الفرصة لهم، لم تساعدهم الأجواء، لم يساعدهم المنتجون المحتكرون في نقل أفكارهم القيمة إلى الشاشة وإيصال طرقهم الفنية إلى الجمهور.

ورغم ذلك، فإنني على يقين بأن جزءا من الأمر يرجع إلى قدرة المخرج علي المخالطة والتعامل بصورة اجتماعية بشوشة والوصول إلى كل الأماكن الممكنة التي تمكنه من بلوغ هدفه، إلا أن الأمور لا تسير بهذه السهولة، فتجربة الإخراج شأنها شأن تجربة الكتابة في بعض الأحيان، فقد سجلت السينما نفسها أفلاما كثيرة رصدت قصصا مكررة عبرت عن محاولات كاتب موهوب أن يكتب كتابا واحدا وكفاحات مخرج بارع خاصة بإخراج عمل سينمائي وحيد، إلا أن الحياة لم تمنح هذه الشخصيات الفرصة الكاملة والرائعة.

لقد تمكنت من إخراج عمل سينمائي وحيد، وقد وصلت إلى الشهرة معتمدا عليه، ورغم ذلك لم تدم شهرتي إلا قليلا، ولم أتمكن من الوصول إلى عمل جديد، لكن اللهفة قد فقدت مع الوصول، ولم ترغب في الاشتعال من جديد، وكأن لهفتي قد عرفت طريقا واحدا، فانسجمت مع السكون دون نزوح.

فالاشتهاء يكون من بعيد، وحينما تقترب بكيانك من الأمور، تظهر الحقيقة وتنطفئ الشعلة، فالشعلة تلاعبنا باستمرار حينما لا تكون أمامنا، لكنها لا تمنحنا الأوج حينما نحتضنها، فهكذا يكون المسار وهكذا تكون الطريقة، فلا نعرف طريق الخير، وبينه وبين مسار الشر نحتار، فالستار يكمن وراءه كل

شيء وكل لون، ونصيبنا من الألوان أمر مكتوب، والدعاء قبل كل شيء عبادة، والظن بالله كله جميل.

لقد أثرت السينما في دواخلي تأثيرا بالغا، وقد أصبح ذهني يستدعي شخصيات من الواقع وشخصيات من الأفلام بشكل تهيمن عليه الملابسة والمخالطة، فكنت أقابل صديقي السيناريست في الصباح وإيمانويل بيار في المساء، صديقي المخرج في الصباح ومارلون براندو في المساء، صديقي المنتج في الصباح وجينيفر كونلي في المساء، اللعنة، لقد اختلط الأمر علي، فكنت أشبه بالمجنون، وبطبيعة الحال، كنت أواجه الكثير من الصعوبات بين الحين والآخر فيما يخص التعامل مع الواقع، فكان يداهمني الاصطدام وكنت أنزل من أعلي شلالات الخيال إلي المصب، إلي صلابة الواقع وغرابة التجربة.

زيت النعناع الفلفلي، لطالما أحببت استخدام هذا الزيت الرائع، فكنت أغلي الماء وأضيف بعض القطرات وأستنشق ما يسر الأرواح، لكن الأروع كان نتاجا لخلطه بزيت الكافور، فكنت وقتها قادرا علي الوصول إلي السماء بعد أن ينشرح الصدر وبعد أن أشعر بالراحة، تلك الراحة التي كنت أحاول أن أستجلبها قبل النوم مباشرة، فالنوم يحتاج إلي التهدئة خوفا من التعامل مع أعاصير لا فائدة منها، أعاصير فكرية ومتاهات ذهنية وأفكار لا حصر لها، فالعقل يدخل في صراعات قبل النوم ويبحث عن حلول ويحاول الوصول إلي حل غير مفهوم لأمور عجيبة وتفاصيل صغيرة كونها علي مدار اليوم، فما جبل علي حل المشكلة، سيبحث عنها حتي إذا لم تكن قائمة، فهكذا تعلم وهكذا تعود.

قد تتفتت الجبال بفعل الأمطار الغزيرة، لكن ليس سهلا أن تتلاشي كليا، هكذا هو الإنسان، يضمحل مع الوقت ورغم ذلك يبقي صامدا قادرا على المواصلة، فقد أخبرني أبي في ليلة من الليالي الدافئة بأن الإنسان القوي مثابر حالم حتى وإن كان ذهنه يرصد المآسي بين الحين والآخر وحتى وإن كان لا يعرف سوي القليل عن التفاؤل، لأن التعرف إلى القليل قادر علي إدراك البذرة، تلك البذرة القادرة على المواصلة وبث الحياة في الأرجاء والوصول إلى القمة.

كان يخبرني بذلك حينما كنت أعجز عن النوم وحينما كان النعناع لا يساعدني في بلوغ المبتغى، لكن مراهقتي كانت عاصفة، فكان ذهني يجول بين نساء الأرض في كل ليلة متخيلا الهيئات والأشكال والألوان، وعندما نضجت أدركت أن

الراحة قبل النوم لا تتحقق إلا مع الابتعاد. الابتعاد عن الأمور الدنيوية ومحاولة بلوغ الروحانية والوصول إلى السعادة الأبدية، تلك السعادة المبنية على التقبل، تقبل كل شيء وسهولة بلوغ الرضا وقتل النرجسية العميقة ذات الجذور المتشعبة.

لقد أخرجت فيلما قصيرا في أسبوع، أخرجته بالاشتراك مع صديقة عزيزة تعرفت إليها قبل سفري إلى دوبروفنيك التي زرتها بهدف السياحة لا أكثر و لا أقل.

لا يمكنني أن أتذكر ملامحها جيدا و لا أعرف شيئا عما فعله الزمان بها، لكنني قادر علي تذكر ملابسات الفيلم جيدا، فقد تناولت النرجسية والغرور والغيرة والحقد، وقد ركزت على الغيرة والحقد، لأنهما صفتان مرتبطان بالإنسان ويسهل تطورهما عند الفرد حينما يسمح لهما بذلك، فالأمر بأكمله يتعلق بالإصغاء والتدرج، وحينها تجد نفسك أمام المفاجئة، غل وحقد وصراع ومنافسة. كبار السن، أصحاب المناصب، الحكماء، العقلاء، طلاب العلم، كلهم خامات سهلة للغيرة والحقد، رغم التعقيد الذي وصلوا إليه ورغم تشكل عقليات أكثر خبرة، فبذرة الغيرة زرعت منذ قديم الأزل، وكثيرا ما قامت الصراعات بين الإخوة من أجل لا شيء، من أجل أشياء لا تستحق، ومن أجل أمور فانية ذات أجل.

حصد ذلك الفيلم المتواضع بعض الجوائز من قبل الأكاديمية السينمائية، وقد كنت سعيدا للغاية، لأنني قد تمكنت وقتها من نقل بعض المشاعر البشرية إلى الشاشة، فرصد المشاعر أمر معقد لكنه مغر في الوقت عينه.

يتماشى الإغراء مع التعقيد في بعض الأحيان لكنه ليس كذلك على الدوام، ففي الكثير من الحالات لا يتحقق الإغراء إلا مع البساطة، فالبساطة قادرة على الجذب والسهولة بمثابة اللغز، وهو ما كنت أحاول أن أتعامل معه في أكثر من مرة حينما قدمت أكثر من عمل قصير لم يعمر على المدي الطويل.

-٣-

حينما تأكل الأجنحة الحارة مدعومة بصوص روفوس تيج المحلي بالعسل، بينما تشاهد فيلما من أفلام الدراما العميقة، ستصل إلى الجذل والانتشاء، وحينها سيكون الجذل ناجما عن حرارة متجولة في الأرجاء، لكن التفاهة قد تحلق بغتة في الأفق حينما تتحول الدراما إلى هزل بسخاء، فكثيرا ما شاهدت أفلاما درامية عجزت عن المواصلة والاستمرار. فتهاوت الأحداث ووقعت الحبكة في أسفل النفق.

أعتقد أنني أن أنظر إلى النفق بشكل غريب، فعقلي مفعم بكل ما هو عجيب، لكن التنقل بين الأفكار قد يكون مرهقا في الكثير من الأحيان، خاصة حينما يتسع الأفق وحينما ننشغل بأمور نعجز عن الربط بينها، إلا إنه من المعروف أن الربط بين الأمور يصبح أكثر هشاشة مع التقدم إلى الأمام، وهو ما يؤكد ضرورة اغتنام التركيز قبل أن يتهاوى العقل، فالإبداع يحتاج إلى تركيز ويقتات على التفاصيل، ورغم ذلك نجح بعض المخرجين في تقديم أهم الأعمال حينما اقتربت لحظة الختام.

في ليلة من الليالي، كنت جالسا بمنزلي قاطنا لأريكتي التي احتضنتني على مدار السنين، وقد كنت مندمجا مع فيلم فرنسي مفعم بالدراما، فيلم نجح في رصد قصة رجال تجاذلوا من أجل الهراء وأدركوا الحقيقة في نهاية المطاف، وقد انتقلت بعدها إلى فيلم آخر أنتج في نفس البلد، فيلم كان جيرارد ديبارديو بطله وكانت إيزابيل أوبير سيدته، وقد أنهيت الجولة يومها بفيلم لأدجاني أبهرني وأنار كينونتي الفنية، فأخذت هذه الأفكار

وحاولت أن أستعير منها، وقد تمكنت من بلوغ فيلم قصير عجز عن المشاركة في المهرجانات وهبط إلي القاع في ظرف لحظات، وقد اصطادني ناقد لعين لم يكن يعرف سوي القليل، لكن الهبوط الفني الذي كنا نعيشه سمح للأوغاد بأن يسيطروا علي الساحة وجعل من الضعفاء أسماء، لأنه من المعروف أن الكساد يؤدي إلي الخلط والتخبط والعشوائية، وهو ما يمثل المنطق والذكاء، ورغم ذلك، فإنني لا أثق في كلماتي، لأنني لا أمثل سوي إنسان في نهاية المطاف.

لقد جلست مع هذا الناقد في يوم من الأيام، تبادلنا الحديث، بارز لساني لسانه، رغبت في ركل مؤخرته، تمنيت لو انشقت الأرض وابتلعته، وأحسست بعدائية غريبة، عدائية تمركزت حول رجل واحد، لكنني سرعان ما كبت ما رغب في البزوغ، فتراجعت وقتها إلى الوراء، وأدركت حجم الهراء، لأن الوجود أكبر من كل ذلك، وهو ما يمثل الحكمة والمنطق.

حينما يحبسك المصعد، تكتشف الحقيقة، تدرك الخريطة، تفهم أن السياق ضيق للغاية حينما تتفاعل معه بقوة، فأنت تتعامل مع فرد واحد وتظن أن العالم بأكمله منحصر هناك، ذلك العالم الذي يضم المليارات، ذلك العالم الذي يضم القارات والصحاري والغابات ويحاول بلوغ السماوات، أليست النظرة بضيقة حينما ينزعج المرء من جراء كيان كان

من الممكن أن يمثل حجرا أو رمادا أو شيئا لم يكن في الحسبان؟

العالم أكبر من كل ذلك، العالم أكبر من نجاح أو فشل، العالم أكبر من موقف عارض، العالم أكبر من صراع بين فردين وأكبر من حرب بين قارتين، فكل شيء سيطير في الهواء، وكل شيء له أجل، ولهذا من الضروري للمرء أن يتجاهل الفشل ويركز على النجاح ويسلط الضوء علي الخيال، ذلك الخيال الجامح الذي يلاعبنا حينما نجري في المساء بين التلال والأشجار بينما نتأمل السماء محاولين رصد النجوم التي تلاعبنا من بعيد وكأنها تعرفنا منذ سنين، وكأنها تعرفنا منذ الميلاد.

الفن وسيلة عظيمة للتعبير، وسيلة لإرضاء العواطف والرغبات التي لا حصر لها والشعور بالقناعة ضمن سياق سحري لا يفهم، فالفن سحر يمنح الفنان القدرة على إرضاء الكثير من الأمور والتقليل من لهيب الرغبات التي عجز عن إرضائها عبر حياته، فبزوغ الفن في البداية لم يكن من أجل الفن، بل كان من أجل إرضاءات اتصلت بدواخل الإنسان وأدت إلى نتائج اعتمدت على هيئة عفوية بشكل واضح، وهو ما عبر عنه فرويد في إحدى كتاباته.

لقد قرأت عن الصلة بين النفساني فرويد والفنان سلفادور دالي، قرأت عن الصلة بين دالي ولويس بونويل، قرأت عن الكثير من الفنانين وتنقلت بين العديد من الدراسات الفنية العميقة التي تطرقت إلى محاور الفيلم والألوان والتصوير والإخراج والإنتاج والتمثيل والدقة وغيرها من الأمور، لكنني أدركت في نهاية المطاف أن الفنان لا يقضي كل وقته متنقلا بين تأملات تخص أعمال الفنانين الآخرين ناسيا دوره وأهمية مشاركته في السياق الفني.

فالكثير من الفنانين والمخرجين الناجحين لا يفنون أوقاتهم في عملية التقييم، لكنهم يتنقلون بسرعة بين أعمال الآخرين بينما يخططون من أجل أعمالهم ومشاريعهم الخاصة. وهو ما أدركته في النهاية في حقيقة الأمر.

في صغري، قدمت فيلما قصيرا أدرجت فيه الكثير من النقاط التي اقتبستها من أفلام سينمائية معروفة، طريق مولهولاند، جان جيرل، قراصنة الكاريبي، سويني تود، جميلة النهار، لكنني

عجزت عن المواصلة بسبب احتياج الفيلم إلى فتاة مثيرة قادرة على ضخ الحماسة في الأرجاء وعدما توافرها وقتها.

- إنني أرغب في بعض المساعدة لا أكثر و لا أقل. أرغب في أن تحتضنني كابنتك الوحيدة، وككلبك الأليف، وكشجرتك المثمرة، أريدك أن تقدم موهبتي إلى ذلك العالم الهش الذي تهاوت فنونه في الآونة الأخيرة.

- لكنني لا أعرف الكثير عن موهبتك يا فتاة، فكل ما يمكنني أن أراه يكمن في جمالك الخلاب، لكن الجمال ليس بالضرورة أن يتصل بالفن والموهبة، وإن اتصل بالفن صار اتصاله مبنيا على التأمل لا المشاركة، وصارت وظيفتك أشبه بالدمية التي نصفق لها، لا أكثر و لا أقل.

- إنني لست بعارضة تعمل معتمدة على نهدها، ولست بفتاة لا تثق بموهبتها، و لا يمكنني أن أخبرك بأن فني يلوح للجميع من أعلي منارة سامقة، لكنني على يقين بأن هناك فنا بداخلي من الممكن أن يدعم فيلمك القصير الذي لن يعرفه سوي القليل.

- أعتقد بأن لديك علما مسبقا عن السرية التي من الضروري أن تتوافر بين الفنان وتلميذته، وأعتقد أنه من الممكن أن أحصل على بعض المميزات التي من الضروري أن أحصل عليها من أجل منحك الدور.

تقف الفتاة، تقف كاشفة عن جرأة لم أر لها مثيلا قط، تقف بينما تتساقط الأمطار في الخارج، تتخلص من قميصها البولكا، تتخلص من كل شيء، تظهر حيوانية ينتقل صداها إلى كل

أرجاء الغابة، يقف الخناس ضاحكا، تتعالي ضحكاته لتظهر سخرية من دقائق تورط الإنسان في الخطيئة وتمر في لمح البصر دون أهمية تذكر علي المدي البعيد، إنها الحماقة البشرية بكل تأكيد، فقد أفني الكثيرون أعمارهم في محاولة ركوب موجة التحرر، تلك الموجة المثيرة للسخرية التي لطالما رغبت في إظهار التمرد من أجل كأس يسبب الصداع في النهاية بعد أن يفتن المرء في البداية، ومن أجل مؤخرة لا تحمل وسام النقاء، فتجمع بين الشهوة والخراء، لكنني علي يقين بأن الطاقة حينما تخور، تظهر الحقيقة ويهرب اللعين ذو التمرد والغرور.

توقفت الفتاة فجأة، تراجعت إلى الوراء، وأخبرتني بأن المهمة قد تمت علي أكمل وجه، فأخبرتها بأنها قد قبلت وبأنه صار من الضروري أن تستعد من أجل الدور القصير.

كان هذا اللقاء بمثابة المحادثة التي تمت بيني وبين الفتاة من أجل الدور، ورغم ذلك لا يمكنني أن أنكر حقيقة أن العمل لم يكتمل حتى بعد أن توافرت الفتاة الجميلة من أجله، وقد تم إلقاء القبض علي وتم الخروج بعد أن دفعت الكفالة، حيث أن فيلمي قد كان إباحيا بشكل لا يوصف، لكن الغريب في الأمر يكمن في تعجبي من وصول الأمور وقتها إلى هذا الحال.

فكيف تحول العمل إلى هذه الهيئة دون أن أشعر؟ وكيف سيطر الشقي على عقلي بهذه الصورة؟ إنها الفتنة بكل تأكيد، إنه الانجذاب وراء الحلقة المكررة التي نتهرب منها حينما تخور الطاقات وتهدأ الرغبات وتتلاشي الأوهام وتظهر الحقيقة، تلك الحقيقة التي كانت جلية منذ البداية، لكننا قد تجاهلناها وقتها لأننا كنا في غفلة وكنا مشحونين بطاقة لم نكن نعرف بأن لها نهاية.

فإظهار التميز الأولي يكون متصلا بالغريزة و الحيوانية، وإظهار التميز المعقد يكون متصلا بالعمل و العلم و التنقل بين الفنون بصورة فلسفية، أما إظهار التميز الأعظم، فإنه يكون متصلا بالروحانية، وهو ما لا يمكنني أن أنكره، حيث أنني قد وصلت إلى ذلك في عجزي، حينما هرمت وأدركت الحقيقة التي كانت منذ البداية جلية، إلا إنني لا أشعر بالندم و لا أطلب سوي العفو و الحصول على الدرجة المرضية.

-٥-

في فترة من فترات حياتي، أدركت أن هناك مشكلة تخص عقلي، فقد كان إنتاجي من الأفلام القصيرة مبنيا على التعري والتنقل بين عناصر الإيروتيكا، فأحسست بأنني كنت محبوسا في طور المراهقة وقد شعرت وقتها بخوف شديد، لأنني قد قرأت في كتب نفسية غريبة أن القدرة على الانغماس في الخيال الجنسي تقل مع الوقت عند الإنسان، ليصبح العقل منشغلا بالمهام والمسئوليات بعد أن تنضب الهرمونات وبعد أن تضمر الأجساد.

وقد كانت مشكلتي كامنة في علمي بأن طاقتي لن تساندني على طول الطريق من أجل اصطياد الغزلان، وإدراكي لحقيقة أن خيالاتي لن تتحول إلى حقيقة على المستوي الفني بسبب طبيعة المجتمع، وفي الوقت عينه كان خوفي من نهايتي يؤرقني بين الحين والآخر.

لم أكن شائعا بما فيه الكفاية في حقيقة الأمر، لكنني كنت قادرا على تقديم الأفلام القصيرة لفترة من الزمان، وقد تذكرت وقتها مسيرة الإيطالي تينتو براس التي بدأت بفيلمين من النوع الجاد بشكل ما، واستمرت بعد ذلك على طريق الإباحية والعري.

كنت محبا لفيلم الحياة الحلوة وفيلم ليزا وأفلام صوفيا لورين، تلك الأيقونة التي عرفت بالإغراء رغم أنها لم تقدم عريا خالصا قط، فقد كان الإغراء الأصلي متصلا على الدوام بالترقب لا بالبلوغ، وهو ما أدركته لاحقا فيما يخص كل شئون الحياة، فالتفاحة من بعيد أكثر إثارة، لكنها بعد أن تؤكل تفقد البريق، وقد تفقد البريق قبل أن تؤكل أيضا، وهو ما يتصل بالكثير من الظروف.

ولكن هل ستدعمنا طاقاتنا حتى النهاية؟ هل سنظل قادرين على الالتهام والجري والتكالب؟ هل سيظل التفاح متوافرا أمامنا رغم تغير الظروف؟

أعتقد أنه لا مناص من أن يحل التنكيس يوما ما، نعم، لا مناص من ذلك.

لم تصل كل أفلامي القصيرة إلى العلن، لم أتمكن من بلوغ ذلك، ورغم ذلك كنت متفائلا في الكثير من الأوقات، وكنت حالما دون تمهل أو ركود، لكنني كنت أحلم بالوصول إلى الفيلم الطويل المرغوب، كنت تواقا لإخراج فيلم سينمائي يمكنني من إعلان موهبتي بقوة ووضوح.

في ليلة من الليالي، جلست بمنزلي متنقلا بين أفلام تيم برتون القصيرة، تلك الأفلام التي بذل جهدا فيها قبل أن يقدم أفلاما سينمائية طويلة، وقد تساءلت عن غياب جنرا الفنتازيا عن سينماتنا، لكنني سرعان ما نبهت نفسي إلى حقيقة أن هذه النوعية من الأفلام السينمائية في حاجة إلى ميزانية ضخمة وتكنولوجيا حديثة وعمل مستديم دون توقف أو كسل.

وقد دق جرس الباب وقتها، فهرعت إليه لأرحب بضيفتي الأنيقة، كانت ممثلة صاعدة قد تعرفت إليها في الأكاديمية السينمائية وقد قابلتها في مهرجانين متتالين، فبدأت الألفة في التعمق وشرعت البلابل في الغناء.

عندما تغني البلابل يصبح الأمر خلابا، حينما تقدم العنادل فنا يصبح الأمر جذابا، لكن الأصوات المسموعة لا تعبر عن المنتظر بشكل دائم، فقد تتبع الصرخات الغناء، وقد يتبع الغناء الصراخ، إلا أن البدايات بمثابة المحفزات والنهايات بمثابة الحقائق وإبانة البهتان.

اللعينة، اللعينة، اللعينة، تلك اللعينة التي حاولت الاقتراب مني ورغبت في القضاء عليه، لكنه سرعان ما أصدر صوتا غريبا معبرا عن الغضب والحيرة.

كان جروي قد هاجمها فحاولت الإمساك بالزهرية وقذفه بها لكنه سرعان ما تحول إلى وحش عظيم وبالغ في العداوة، ورغم ذلك عضت المرأة على نواجذها وكظمت غيظها.

ها هي تنام أمامي بفستانها الوردي ذي اللمسات الفنية الأنيقة، وها أنا أقترب منها محاولا تمثيل مشهد سينمائي رفيع ضمن عالم افتراضي غريب، وها هو ظل الكلب يلاعبنا بينما الأمطار تغازلنا في الخارج كاشفة عن وعيد، لكن الوعيد لا مناص من أن يتلاشى بعد أن ينزل الخير الوفير.

ينزل الخير مرة واحدة، فقد زارت الأفكار عقلي، وقد جاءتني فكرة فيلمي، ذلك الفيلم السينمائي الطويل الذي لطالما رغبت فيه، فقد قررت وقتها أن أسند دورا إليها على أن يكون مؤثرا وهاما، بعد أن أظهرت المرأة فنا صفقت لها بعد أن قدمته وانحنيت من أجلها بعد أن تعمقت في إبرازه.

كان الفيلم قد شرع في الوصول، وقد بدأت الأفكار في النزول، لكن النزول أمر خطير، فقد تنزل الأفكار وتوظف في محل غير محلها، وحينها يصبح الأمر معقدا ويصير التأني مطلبا، خوفا من التسرع والتخبط، ذلك التخبط الذي ينال منا حينما تتعارض الأفكار وتتقاتل دون نظام ودون تفهم.

أمسكت بيدها ورقصت معها وخبطت ردفها فضحكت دون توقف، فتعالت الضحكات وتوطدت القفزات، تلك القفزات التي

نالت منا حينما وصلنا إلى النشوة، تلك النشوة الفنية التي لحقت بنا حينما اتفقنا على الفكرة.

وقد دق جرس الباب مجددا، فوجدت أمامي رجلا طويلا ذا لحية سوداء كثيفة وشارب غريب، وقد علمت بعدها أنه كان زوجها، لكن الضجة حدثت حينما وجدنا وحدنا، ورغم ذلك مرت الأمور وصعدت رائحة البخور لتمنح الجو عطرا ونوعا من القبول، ذلك القبول المقترن بالخوف والعواقب.

- إنه لأمر غريب أن تجلس مع زوجتي دون ثالث، وإنه لأمر عجيب أن تسمح لنفسك بذلك.
- لقد زهر الأمر واتضح، وقد أدركت أن العمل قد جمعنا، لا أكثر ولا أقل.
- نعم، ولهذا لم أعلق بشكل مخيف ولم أقدم وعيدا أو أشعل الفتيل.

استمر الحديث دون توقف وقد رأيت ما لم أر من قبل، فقد امتد قرنان من رأس الرجل وتحول اللعين إلى ثور غريب، وقد هاجمني كاشفا عن وعيد، وقد أخذت أجري دون تمهل بينما كانت ترافقني المرأة الجميلة التي كشفت عن الدهشة والحيرة من جراء أفعال زوجها المجنون الذي حل ضيفا دون سابقة إنذار، وقد استغرق الأمر ساعات مطولة، لكن ما قطعه كمن في الركود الذي نال بغتة من الرجل، فوجدت الهدوء قد حل ضيفا من جديد، واستيقظت من نومي مفعما بالخوف والصدمة، فقد تسللت الصراعات إلى دقات قلبي وصار من غير الممكن الهروب.

وبعد لحظات أدركت أن الرجل لم يكن موجودا، وأن الحلم قد ضم مخاوفي من قدومه ووضعها في إناء أحببت أن أصفه بالنبيه على الدوام.

يقال أن الإنسان قد سمي بذلك لنسيانه، نعم، الإنسان ينسي كل شيء مع الوقت، ويتقدم إلى الأمام، فقد نسيت الكثير من الأمور وأدركت أن ما وقف عنده العقل لم يكن يستحق وما تجاوزه الذهن لم يكن مختلفا، فالأمور كلها مصيرها إلى التلاشي، ورغم ذلك يبقي من الضروري التفاعل حتى يتوطد الوئام بين الناس وتتسلل لذة الكلام، إلا أن لذة الكلام تؤدي إلى اللغو في معظم الأحيان.

في مساء دافئ، قطنت أريكتي لأشاهد فيلم "الختم السابع"، ذلك الفيلم الممتاز الذي أنتج في عام ١٩٥٧، وقد رافقني كوب الشاي بالقرنفل ولازمني كتاب فني أحببت دائما أن أتنقل بين سطوره بشكل عشوائي.

هناك حالة من الجمال الصوري في هذا العمل، هناك نقاش يخص القوة والموت والحياة، هناك سياق يتناول الأيدولوجية واللغة وتسلسل القوي، هناك بيئة من محاولة خلق المعني داخل إطار مفعم بالفوضى. إنه عمل رائع حقا، عمل لم يغادر ذهني قط وظل ماكثا بداخل حجراته دون مفر.

العالم ليس بفوضوي فيما يخص التكوين لكن الفوضى متصلة بالذهن القاصر، نعم، فالعالم منظم والخلقة منظمة بصورة لا يمكن أن ندركها لكن الفوضى سياق نراه ضمن إطار مختلف، ضمن إطار يحفز العقول تجاه أمور لا يمكن بلوغها، فالنظام موجود لكن ضمن سياق يصعب إدراكه والفوضى متصلة بفعل

بشري يمكن إيقافه ويمكن تحفيزه، لكن الأمر ليس بيدنا بكل تأكيد.

كنت أحدث نفسي بهذه الكلمات حينما دق جرس الباب وقد كنت وحيدا حينها وكانت العواصف تلاعب ذهني وتباغته وكان الحس أشبه بقطعة الخشب، فكنت في حاجة إلى طراوة، طراوة على المستوي النفسي بطبيعة الحال.

لا يمكنني أن أنسي تلك الليلة الغريبة، فقد حلت صديقة عزيزة علي الساحة لتحدثني عن صراعات حياتها، وقد أخبرتني بأن الحياة قد صارت معقدة وأن الأمور قد صارت غير ممهدة، فأخبرتها بأن الإنسان يدرك مع التقدم إلى الأمام، أن اتصاله بالأشياء مرهق وأن الراحة كامنة في تركها، لكن بعض الأمور لا تترك، وإلا فقدنا الحياة حينها، وقد بكت بشدة كاشفة عن خيانة زوجها لها، فأخبرتها بأن الوقت قصير وأنه سيكتشف في سرعة أن الأمر لم يختلف عما كان فيه وأنه قد سمح للطين بأن يزداد بلة، لا أكثر و لا أقل.

التفت حولي كثعبان طويل لا يمكن الفرار منه، بقت السماء فأحسست بكل ما هو منهمر، كشفت عن جوارب غريبة وألوان عجيبة وقبلات ملتهبة بصورة تشبه التهاب آلاف شعلات وضعت في إناء أخشى انصهاره، دبت النار في المكان ووصلت الحماسة إلي الأوج، ووجدت خيلا أشعلا يهاجمني كاشفا عن غضب وبأس، حاولت تجنبه، تألمت بشكل غريب، لكن اللذة يصاحبها الألم، فلا توجد لذة دون ألم، وكلما قلت قل، وكلما زادت زاد، فلا يمكنني أن أنسي الرواقية و لا يسمح لي الزمان بأن أتجاهل الحقيقة، تلك الحقيقة التي تخبرنا بأن اللذة متصلة بضريبة تدفع بصورة ما في وقت ما، وقت سرعان ما يداهمنا.

لقد شرع ذهني في التفلسف بمجرد أن وصلت، ولكن هل وصلت حقا؟ ولماذا ترك المخ لذة وشرع في لذة أخري؟ لماذا انتقل بهذه السرعة؟ هل مل؟ هل أرهق؟ يبدو أن الأمر كذلك. يبدو أن الأمر كذلك.

تعجبنا مما حدث، هرعت كلبؤة، وقد لحقت بها وأغلقت الباب بعد أن فتحته، فأخبرتني بأن الرحيل قد صار ضروريا منعا للمزيد من التهور، وقد حدثتني عن المبالغة فحدثتها عن اللذة الكامنة في أفعال لم تتصل يوما بها، فجالت الخواطر وطارت الأرواح معتمدة على أجنحة، في ظل سماء ظننا أن بلوغها كان ممكنا، لكن الوهم حينما يحل على بيئتنا يصبح الأمر غريبا، ورغم ذلك كان الوهم محفزا للبشر على مدار التاريخ.

انظر إلى ما فعلته أيها المغرور، انظر إلى أفعالك واسمح للسكون بالمرور، ألم يحن الوقت لتدرك أفعالك وتتعرف إلى مكامن ضعفك وقوتك؟ ألم يحن الوقت لتغيير الإدراك والتركيز على ما يثري ويفيد؟

فقد أخذك إلى أماكن غريبة واعتقدت دائما بأن هناك فرقا، لكن الحقيقة تخبرنا بأن التشابه سيد الموقف وتحدثنا بأن الفضول محفز الوهم ومربك الخواطر، وهو ما يمثل المنطق في حقيقة الأمر.

كان الفيلم يتطور مع الوقت، كنت أعد الكثير من الأشياء، وكنت مؤمنا بفكرة التخصص، فكنت أطلب من كل شخص أن يؤدي دوره دون مبالغة، فالكفاف من الخبرة مطلوب، فالزيادة مضرة والنقصان مفسد.

ذهبت إلى الكثير من الأماكن، حاولت أن أجد فرقا، فلم أجد، وبعد كل هذا التنقل، أدركت أن الفروق بسيطة، نعم، أدركت ذلك، فلم يكن يمنحني الفائدة سوي القلة ولم يكن يساعدني سوي المرهق الباحث عن المساعدة أيضا!

وفي ليلة من الليالي، زارني حلم غريب، وقد استيقظت من نومي بداخل نومي، فوجدت كل ما هو طريف.

الكثير من الممثلين المعروفين يتدفقون، يطلبون مني أن أدرجهم في فيلمي الحصين، فأخبرهم بأن الأمر لم يعد ممكنا وأحدثهم بأن الأدوار قد حجزت، لكن الغريب في الأمر تمثل في قدوم الجميلة، الجميلة مونيكا بيلوتشي الملفوفة، ففتحت من أجلها الباب وطلبت أوتوجرافا في الحال، فضحكت المليحة ومنحتني ملصقا خاصا بمالينا، فسقطت بداخل حلم انشق وتلوي، وقد نلت محل المراهق الذي رافقها في عملها الذي لا ينسي.

وجدت نفسي أهرع راكبا العجلة، كنت أنظر إلى الخلف في تردد، كنت أخبر نفسي بأنني قد عرفت الكثيرات لكن النسيان قد نال منهن، إلا إن ذاكرتي لم تنس مالينا، لم تنس الجمال، ذلك الجمال الإيطالي العجيب، الذي أخبرنا حينما هرم في لقاء متلفز

بأن الجمال جمال الروح بعد أن كان معتمدا علي الجمال الخارجي في الأيام الأولي، لكنها طبيعة الحياة التي تعلمنا التكيف بكل تأكيد.

أخذ الممثلون يضحكون وقد سخروا مني ووصفوني بالمجنون، فحملت حساما طويلا وانهلت عليهم بالضرب معلنا التمرد، فقد كسبت الجميلة، ووصلت إلي سر مشاهدة الكثيرين للسينما، فقد شاهد الكثيرون السينما من أجل الجمال الأنثوي لا من أجل الفكرة، وهو ما يلاعب الغرائز ويضخ الدماء في العروق ليحدث التمدد ويكشف عن المرغوب.

استيقظت من نومي بعد الحلم المبني على أمور عشوائية وصراعات حلزونية يطلقها الباطن في المساء ليدفعنا إلى زيارة الحمام لنفرغ المثانة الممتلئة ولنشعر ببعض التحسن في الحال.

وعندما عدت إلى النوم ليلتها، جاءني حلم جديد، حلم لم يكن متصلا باستيقاظ من أجل تبول، لكنه اقترن بذكريات دفنت وتعرف إلى فتاة أولي وحس فات زمانه، ولكن ضاع كل شيء بمجرد الاستيقاظ، وهو ما دفعني إلى التساؤل حيال التجربة بأكملها، وفي الوقت عينه جعلني أتعود على ألا أقف كثيرا عند معظم الأمور، لأن التلاشي بمثابة الأساس والثبات لا يمثل أمرا بارزا في معظم الأحوال.

وبعيدا عن الحلم والذكري، فقد أدركت أن الحياة أشبه بالأمواج، فعلينا أن نتعلم ركوب الموجة، وعلينا أن نستعد من أجل الموجة الجديدة دون أن نتشبث بالقديمة، وفي الوقت عينه من الضروري أن نعلم أن المجهود الذي بذل من أجل الموجة

الأولي قد يتلاشى في ظرف لحظات وقد يطالبنا الزمان بأن نبذل مجهودا جديدا من أجل موجة جديدة.

الأمواج تتلاحق، الأمواج تهاجم الصخور، الأمواج تمحو ما كتب على الرمال، الأمواج تتضارب وتتصارع، وفي النهاية تحل أمواج أخري محلها، إنها الحقيقة التي لا تنكر، إنها الصحة التي لا تعرف الزور ولا تفهم المخاتلة والمراوغة.

وها أنا أقف مطلا على الواقع من نافذتي، أتأمل الحريق في أسفل التل، لكن الأعماق يصعب بلوغها، فقد ترسبت الصراعات في القاع وصار الأمر غريبا مبهما، لكن الجميلة كانت واقفة هناك تلوح لي من بعيد وترسل قبلات حارة، فنزلت إليها مسرعا وطلبت قبلة طويلة، فصفع وجهي وكف حظي واستيقظت من نومي!

حينما يعتقد الناس أن المتع و الشهوات هي مصدر سعادتهم، فإنهم يعيشون في وهم كبير يتغذى على الشهوة الجامحة التي ستعاقبهم هي نفسها في نهاية المطاف، ستعاقبهم بقوة. كان كلاما لشوبنهاور، ذلك الفيلسوف الذي كان يطلق كلاما سليما أحيانا وكلاما أهوجا بعيدا عن الصحة أحيانا أخري، إلا أن هذا الكلام كان ممتازا، وقد أعجبني، وقد حاولت إدراجه في الفيلم لكنني عجزت عن ذلك، حيث أن الكتابة لم تكن من شأني، ومن قدم الفكرة لم تعجبه فكرتي، فتنازلت بسهولة بسبب سعة صدري.

رجل يلعب به في الهواء، رجل يمسك بيد فتاته وينظر إلي فتاة أخري معتقدا بأن هناك فرقا، رجل أفني عمره في البحث عن شيء كان موجودا عنده منذ البداية وقد أدرك ذلك بصورة متأخرة، رجل يعتقد أن السعادة في اللهو رغم أنها كامنة في الاطمئنان، رجل مغرور يعاني من النرجسية وجنون العظمة ويعجز عن إدراك حقيقة أنه سيتلاشى كما يتلاشى خيل أو كما تختفي قطة، أمواج البحر تتلاطم ورجال البربر يتصارعون من أجل شيء غير مفهوم، إلا أن الوجود يضحك بقوة من جراء أفعالهم ويرقص بعيدا عنهم في صفوة، فكل ما يفعلونه أشبه بالرغوة وكل ما يظنونه لا يمثل سوي أمر بسيط ضمن الإطار الواسع، إلا إنه يمثل أمرا هاما ضمن إطار الحساب.

حاولت أن أقدم هذه الأفكار وحاولت أن أعرضها علي الكاتب، فأخبرني بأنها لم تكن مناسبة، فصمت، وعدت إلى دوري رغم نفوذي وقتها. فرغم سلطاتي وأهمية مركزي، إلا إنني كنت محترما للتخصص، وهو ما ساعد العمل ووصل به إلى النجاح.

كان التدخل واضحا من قبل المنتجين في بعض الأحيان، لكن الأمور كانت على ما يرام بشكل من الأشكال، وقد لاحظت أن النجمة الأساسية بالعمل قد رضخت للكثير من الأفعال، وقد لانت الأمور وحل السكون، فانطفأت الأنوار وأضيئت من جديد بعد أن ظهر الفنان الذي بث الفن في كل مكان وأدي إلى الاتزان، فقد كان نجما مميزا معروفا وقتها، وقد ساعد العمل كثيرا، لكنني لن أخبرك باسمه عزيزي القارئ، لأنه صار جزءا من الماضي كما صرت أنا الآخر.

أنت ترصد التنكيس والتلاشي باستمرار، أين الأمل أيها اللعين؟ سأضربك، سأقتلك، سألاعبك، سأخذك وأطير بك فوق القمم حتى تشم أريج التفاؤل وتنهل من بحر الهمم.

كيف وصل البحر إلي الجبل؟ كيف وصل ما يجري إلى ما يقف؟

أيها اللعين! انزل إلى الواقع! انزل إلى الحقيقة! تعال معنا! عليك بمشاركتنا المعاناة والحياة والمادية وصنع المعني.

المؤخرة لن تمنحك ما تريد، عصر المؤخرات وهم كبير، الإنسان لا يعرف ما يريد، لوحة الموناليزا تلاعبنا، وها هي المرأة تضحك لنا وتعلن التناقض الوجداني، فجمعت بين الإيجابية والسلبية، جمعت بين المشاعر المتناقضة، لكن الشعور المتناقض طيف من أطياف العواطف الطبيعية، ومن الضروري تقبله بشكل تام، فإنه لأمر هزلي أن نحاول التخلص من عاطفة معقدة طبيعية لأننا لا نفهمها، فالتناقض الوجداني يعرف بـAmbivalence، وهو أمر معهود وموجود عند الجميع، كما

يساعد في جعل التجربة عابرة عارضة مؤقتة غير دائمة، وهو ما يمثل الخلقة وطبيعتها بكل تأكيد.

مثلت هذه الأفكار سياقا اتصل بالعمل، وقد سعدت بها، وأعجبني عدم انسجامها، وبينما كنت أنهي مشهدا من المشاهد الهامة، ظهرت لي صديقة قديمة، فدهشت وتراجعت إلى الوراء، وأدركت أن الشيطانة قد عادت من جديد لتحدثني عما فات.

من الأفلام التي كنت أشاهدها وتعلمت منها واقتبست من أفكارها، البوابة التاسعة لرومان بولانسكي، حدث ذات مرة في أمريكا لسرجيو ليون، سائق التاكسي لسكورسيزي، شوكولا للاس هالستروم، وغيرها من الأفلام.

وقد جلست مع الكثيرين وخالطت العديدين وتنقلت بين الكثير من الأماكن التي منحتني الإلهام وساعدتني على التقدم إلى الأمام.

وفي يوم من الأيام، كنت جالسا في حديقة منزلي متجولا بين الأفكار متنقلا بين النواقص التي تباغتنا لتحركنا، وقد شممت أريجا قد حل على المكان، فتتبعت أثره ووجدت مصدره.

كانت الشيطانة، كانت الشيطانة التي عادت من جديد لتحدثني عما فات، كان الميك أب يغطي وجهها كما هو الحال مع كل نساء الأرض، وقد فتحت الباب ورحبت بها بعد أن كنت قد اتفقت معها على موعد المقابلة.

كانت ترتدي ثوبا قصيرا كاشفة عن حلاوة، وكان شعرها ملفوفا بشكل منمق، وكانت الابتسامة تترنح كمترنح لا يعرف طريقه.

وقد جلست تحدثني عن الأيام الخوالي والمراهقة التي جمعتنا والعلاقة التي لم تدم كثيرا والصراعات التي عشناها والأسماء التي أطلقناها.

أخبرتني بأنها قد اكتشفت أن العلاقات البشرية شديدة الغرابة تلاعبها درجات مختلفة من الطاقة تساندها مواقف فجائية وتقطعها صراعات عبثية تحل فجأة دون إنذار وتطل بغتة دون سوابق.

- أيتها اللعينة الخبيثة، لقد انتهت العلاقة وقتها بسببك، فقد كانت طريقتك واضحة، وكانت المتعة المبتغى عندك، وهو السيناريو المكرر الذي دعمك على طول الطريق مع كل الرجال الذين تعرفوا إلى دواخلك بصورة لاحقة.
- لا تحاول أن تستفز دواخلي و لا تعمل على إثارة كوامني، فما مر قد مر، وقد ارتبطت رسميا برجل بارع منحني كل ما أردت، ورغم ذلك لم يكتب الكمال كما هو الحال مع كل البشر أيها المخرج المغمور.
- إنني لست بمغمور أيتها المرأة لكنني مبدع مجهول.
- ما الفرق بين ذلك وذاك؟ .. إنك واهم كبير، شأنك شأن كل الرجال، الرجال الذين يعتقدون أن التلاعب بالمشاعر والتأخر في الاستقرار سيمنحهم فرصة أكبر في الزواج من امرأة جميلة كاملة، لكنهم واهمون فيما يخص كل أمور الحياة، فالقدر لم يمنح أي إنسان شيئا كاملا قط، وحينما يمنح الإنسان شيئا جميلا، يتدهور مع الوقت بكل تأكيد، ورغم ذلك من الضروري أن نشكر الإله، وهو ما يمثل الحكمة والرشاد.

- من الضروري التسلح بالتفاؤل ومن المهم النسيان، كما أنني لم أتلاعب بمشاعرك وقتها، لكن الظروف لم تكن متعاونة، وهو ما يمثل الحقيقة.
- لا يهم الأمر في الوقت الحالي، فقد مر الزمان في سرعة تامة، ومرت المشاعر والأمور الحسية والملاعبات الجذرية، وتبقي الحاضر الذي لا مناص من أن نعيشه كما هو دون تغيير، وهو ما يمثل الكلام السليم.
- أتفق.

استمر الحوار وقتها ومرت الدقائق لتعلن الانتهاء، وقد غادرت ولم أرها مجددا، لكنني افتكرت حينها الكثير من الأمور التي نال الضباب منها، فعملية الاستدعاء قد تتم دون تفاصيل جلية، ورغم ذلك قد تتأجج العواطف لأسباب غير واضحة، فأخطر ما في التجربة كامن في الشغف والمشاعر، موت المشاعر، يقظتها، صدقها، كذبها، هراءها، هراءها وهراء اللحظية المقترنة بالحس في الكثير من الأحيان.

أتعجب من مرور الزمان، وكل ما يقال من كلام، وتلك الأحاديث الشيقة واللمسات الحنينة التي تلاشت دون رجعة، وها أنا أتأمل تجربتي كما يتأمل الخفاش تجربته معتمدا على الصدى، لكن الصدى غير مفهوم، فقد مرت الأمور وها أنا أجلس دون لباس، لباس يحميني من البوغاء.

"إن عدم الاكتراث بالمصير الشخصي جزء من طبيعة ذلك الذي سقط من الزمان. وكلما ازداد سقوطه وضوحا قلت رغبته في ترك أثر". كانت هذه الكلمات لسيوران، لكنها تجاهلت جزءا رئيسيا في حقيقة الأمر، فبعد أن قرأتها في كتاب غريب، وجدت أنها قد افتقرت إلى نقطة محورية، تلك النقطة التي تخص الكينونة البشرية بشكل عام، فكل البشر يتعرضون إلى هذه اللحظة التي يشعرون فيها أن القدر يتحكم في كل شيء وأن الخطط لا تسير كلها بنفس الطريقة أو على نفس المنوال، ورغم ذلك أتفق مع الرجل من حيث الفكرة في حالة واحدة، تلك الحالة التي تتحدث عن التأصل والشدة، حيث أن الأمر موجود عند الجميع لكن تختلف حدته بينهم بشكل أكيد.

كان كتابا غريبا، وكثيرا ما أحسست بأن هذا الرجل كان مجنونا، وقد ألقيت الكتاب وقتها بعيدا عني، وأسرعت بالعودة إلى فيلمي، حيث جلست مع نفسي أحدثها عن الكثير من النقاط، وقد اتصل صديقي المؤلف وتوطد النقاش.

كانت الأعاصير تعوي في الخارج، وكانت الأشجار تصرخ لتبث الخيفة والحذر في القلوب، لكن الأفكار تسللت إلى ذهني فيما يخص العرض، وقد تناقشت مع الرجل عن الكثير من الأمور.

انقطع الخط، انطفأت أضواء المنزل، شعرت بقشعريرة، أزحت اللحاف الذي كنت أتلفع به فوق أريكتي، أمسكت به بدلا من أن أمسك بمسدسي، فقد اختلطت الأمور علي، لكن الرهبة سرعان ما تسللت إلى أنفاسي، فارتفعت بها إلى معدلات قياسية،

حينما وجدت رجلا يجري ككلب في الصالة، وكانت هناك امرأة تمتطيه مرتدية نظارة، وقد ظهرت الأمور في الظلام الحالك معتمدة على مصباحي الصغير الذي كان بمثابة المرشد والصديق.

يجري اللعين، يجري اللعين وفوقه المرأة، يهرع، تصرخ المرأة، تصرخ واصفة إياه باللعين، أتذكر فيلم الخليع ١٩٦٨، أتذكر لورا أنتونلي، أتذكر سيسوماتو، يتحرك شيء غريب، ألاحق الرجل والمرأة، ألاحقهما بقوة.

أمسك بالمرأة وأمتطي الرجل معها، يسرع اللعين، يسرع دون توقف، أجد في يدها لعبة تماجوتشي، وأحدثها عن فيلم المأمور سانشو لميزوجوتشي، يتطور الحديث، نصل إلى الكثير من النقاط الغريبة، إنه الوعي العشوائي لدي الإنسان، ذلك الوعي الذي يستدعي دون توقف أمورا لا تفهم الروابط بينها إلا في بعض الأحيان، لكن التنقل قد يكون مصدره العواطف، فالعواطف تتحرك لتحرك الكلام والأفكار، وهو ما أثبتته التجربة بشكل متكرر.

تحدثني المرأة وأبادلها الحديث بينما يجري بنا الرجل الضعيف، تخبرني عن حقيقة أن النساء واهمات، فسعيهن لنيل الرجل المثالي وهم كبير، فلا يوجد رجل عظيم، فالقدرة على جلب المال تقل مع الوقت والأيور تضعف مع الزمان، أضحك دون توقف وأخبرها بأن الكمال غير موجود وأوضح لها أن المثالية أمر لا يعرفه إنسان ولا يدركه كيان.

يلتف الرجل المقهور، ويبتسم كاشفا عن غرور، فيقذفنا بعيدا عنه ويختفي في سرعة تامة. وجدت نفسي يومها ملقيا على

الأرض، وقد استيقظت من حلم غريب، حلم نسيت معظمه وتذكرت بعضه، تذكرت ما أخبرتك به عزيزي القاريء، رغم أن كلماتي لا تقدم أمرا هاما في هذه الحالة، لكن لا بأس ببعض الدردشة.

في شبابي، تعرفت إلى الكثير من العائلات الثرية، وقد ولجت الكثير من المنازل الفخمة والقصور الضخمة، لكنني اكتشفت بعد ذلك أن أصحابها كانوا بخلاء للغاية، فكانوا يكنزون المال ويفنون أعمارهم في جمعه لا في إنفاقه.

ففي يوم من الأيام، ولجت منزلا فخما في الشيخ زايد، وقد كان صاحبه العجوز يدعي التدين، وكان صديقي الضحوك ابنه، وقد ضحكت كثيرا بداخلي حينما حدث ما حدث.

فعندما حل وقت الطعام، سألني الأب عما أرغب فيه، فصمت، فسرعان ما أخبرني بأن هناك كنتاكي وماكدونالدز وهات وبابا وسزلر وتشيليز وفرايدايز وغيرها من المطاعم، فلم أقدم مفتاحا، فأسرع الرجل وأخبرني بأن الحل كامن في كنتاكي، فوافقت.

جاء الطعام، لكنه كان عبارة عن بعض القرص ومعكرونة من محل بسيط، وقد تسللت الضحكات إلى أرجائي حتى كدت أن أصاب بالإغماء من فرطها.

اللعين، ذلك المليونير اللعين الذي كان يحصل على ربع مليون في الشهر بعد أن يجمع إيجارات الشقق والمنازل التي تخصه، كان يجني المبلغ بينما يجلس بمؤخرته التي لا تتحرك كثيرا، فقد عرفت وقتها أن هناك عبدة للمال، وهي كائنات تجمع المال ولا تنفق سوى القليل، فالوسطية مطلوبة، والبخل مذموم، وهو ما يمثل المنطق والقبول.

لا يمكنني أن أنسى عمي الذي سافر إلى الصين، وأنفق الكثير والكثير من المال وعاش الحياة إلى القمة، ولم يبخل، وفي الوقت عينه كان يدخر بعض المال من أجل الطوارئ، وقد كان حالي شبيها لحاله.

فقد عشت الحياة بقوة، تعرفت إلى الكثير من الأمور، سافرت كثيرا، وصلت إلى لذة الطعام في قمتها ونهلت من نهر الحب دون توقف، ولا يمكنني أن أنكر حقيقة أن الأمور قد مرت، لكن أثرها موجود وإرضاءها قد بقي، إلا إنه قد يكون إرضاء غير مفهوم في بعض الحالات.

كائنات تتحدث عن أسعار العقارات طوال الوقت، كائنات لا تستمتع باللحظة وتمر الحياة بها بينما تخطط من أجلها، رجل عجوز يخبر شابا صغيرا بأن الشباب كنز من الضروري اغتنامه، البحرية الأمريكية وكاميرا السينما، الأبراج والكلام عنها أمر عبثي وهمي، كلمة فاسق موجودة في كل لغات العالم، العصر الفيكتوري والكبت، أنطونيو بانديراس والسينما الإسبانية، دون جوان ديماركو لديب وبراندو، الترقب والبلوغ أمر متصل بكيمياء الدماغ كما هو الحال مع كل شيء، العواطف تسبق الأفكار والكيمياء تسبق العواطف مما يجعل الأمر معقدا، خلايا إنجرام والتذكر والتنشيط وخلايا النسيان، شخص يلتقط صورة لنفسه بجوار كتبه ليظهر مدي ثقافته الوهمية، رجل يخبرني بأن ما حدث قد حدث ويوضح لي أنه من الضروري ألا أهتم بما مر، صاحب مطعم إيطالي يعاكس فتيات البورصة القائمة بجوار محله، رجل زرع شجرة فطرحت الكثير من الخوازيق، رجل زرع شجرة فطرحت ثمارا أكلت وانتهي الأمر، رجل فاحش الثراء يدفع فاتورة عشاء تذهل العقول ورغم ذلك يتشاجر مع المسئولين لأن هناك عشرة جنيهات مضافة دون سبب وجيه، رجل يزور مطعم هوترز من أجل الفتيات، جوني ديب وأمبر هيرد وصراع غريب. كلها أفكار كانت تلاعبني في ليلة من الليالي الغريبة، وكلها أمور لم تعرف الترابط ولم تبحث عن صلة، ورغم ذلك كنت منسجما معها متنقلا بين أرجائها، دون ملل أو كلل.

في هذه الليلة، كانت صديقة عزيزة تحدثني عبر الشات، كانت فتاة جميلة قد تعرفت إليها من خلال وجودي في الأكاديمية السينمائية، وقد دهشت لصوتها الجميل وللرخامة الذهبية التي

كانت تترقرق من فمها، فقد كانت كالعسل المصفي، ولم تكن تقل عن المانوكا بكل تأكيد.

كانت تحب العسل، وكانت تنوع بين الكشميري والحضرمي وزهور الربيع والأكاسيا والمانوكا وعسل الغابة وغيرها من الأنواع، وكانت تحدثني عن الطعم المميز للكشميري والفائدة العالية التي تخص المانوكا النيوزيلاندي والحضرمي اليمني.

هناك ما يعرف باسم الflirtation، وهو أسلوب كنت أعمد إليه في بعض الأوقات لكنني رغم ذلك كنت سرعان ما أتوقف إذا اقترب الأمر من تجاوز الحدود، ورغم ذلك لم تتشكل أي علاقة رومانسية بيني وبين الفتاة، إلا إنني قد قبلتها في يوم من الأيام، وحينها انقشعت الظلمات وأحسست بابتعاد جسد بض طابت فيه ثمرة الحياة، وقد التفعت بغطاء تمكن من إخفاء ملامح كان يبرزها كروب توب قصير، وقد ولجنا وادي الصمت وحل السكون، ووجدت الشياطين تضحك من بعيد كاشفة عن توابع الغفلة وصعود الحيوان وملاعبات غوريلا كان عقل بشري يدعي التحكم فيها بقوة.

كنا وقتها أمام الأكاديمية، كنا جالسين أسفل السلم، كنا منسجمين وسعيدين، لكن ما حدث أدي إلى انقطاع الصلة، ورغم ذلك مكثت التحيات، وكانت من بعيد في حقيقة الأمر.

القبلة الأولي في حياتك تشبه الوصول إلى قمة جبل، لكن مع الوقت، تتحول القبلات إلي أمر روتيني، تتحول إلي أمر يشبه ملء الاستمارات الرسمية والأوراق الكتابية والأعمال الحسابية، إنها الحقيقة التي تخص كل شيء بكل تأكيد.

فالعقل يتكيف مع الوقت، يرضي السياق، لكن الإرضاء الأولي يختلف عن الإرضاء المكرر، فالإرضاء المكرر يفتقر إلى الفضول الأول ويعجز عن بلوغ البصمة التي مثلت الرغبة الأصلية والحركة الجوهرية التي أدت إلى الوصول والبلوغ.

العزلة والفخر الفردي واللوم والكراهية والندم والشكوى والغضب والغيرة والغرور والقوة والمادية والحرب من جهة، الجماعة والحب والاتحاد والتفاهم والصداقة والتسامح والعرفان بالجميل والسعادة المشتركة والتواضع والروحانية والسلام وتقبل النفس من جهة أخري، كلها أمور ناقشها دونالد وينيكوت من خلال حديثه عن الذات الحقيقية والذات الزائفة، كلها أمور أدركتها مع الوقت وتعرفت إليها، فالإنسان يتطور ويصل إلى الروحانية والفخر الجماعي، وإن لم يبلغ ذلك، عجز عن مغادرة مكانه وتدهور.

كل إنسان يتطور مع الوقت، وقد يتدهور أيضا. الأمر بيد الشخص بشكل ما وليس بيده بشكل آخر، لكن الغريب في الأمر يكمن في قدرة الغضب والغرور على التلاعب بالمسار. فقد عاشت الوساوس في صدور البشر علي مدار التاريخ، نالت منهم، تسللت إلى أعماقهم، انقلبت أنوار التجربة ظلاما داجيا، ورغم ذلك تمكن الإيمان من مساعدة المختارين والوصول بهم إلى نهاية طيبة، أما من لم يقع عليهم الاختيار، كان مصيرهم غير مفهوم بالنسبة إلينا، لكنه أمر لا يخصنا، فهناك فئات وهناك عدالة محققة بشكل لا نفهمه.

عندما يتأمل المرء تجربته، يصل إلى بعض الأمور. فالبلوغ الشامل أمر غير موجود، لكننا نصل إلى بعض النقاط التي تخص الكينونة، تلك الكينونة التي صارت في حاجة إلى القيلولة في معظم الأوقات.

كانت كينونتي تقتات على الفن السينمائي، كانت السينما بمثابة الملجأ المريح لصراعاتي الداخلية، فقد كانت ابتسامة كيت هدسون تهدئني وكانت ملامح براندو تلاعبني وكان جنون ديب وتلونه يساعدني علي فتح آفاق جديدة وتأمل سياقات عديدة والتنقل بين درجات حماسة لم أكن أفهمها، ورغم ذلك كانت هذه الأمور عميقة للغاية حينما كنت مراهقا وكانت تقل وتزيد حينما كبرت، فصرت أسيرا لأمور لم أكن ملما بها.

من الأمور التي ستدركها مع الوقت، حقيقة التعود وتكيف الذهن مع ما يحدث، فالعقل الذي يتعود على التنقل بين أرجاء مجتمع محافظ يتكيف حينما يتنقل بين أرجاء مجتمع منفتح، وإن لم يحدث التكيف أسرع بالعودة إلى منبعه، ورغم ذلك لا يعود سوي القليل من العقول، لأن الانتقال متصل بمهام وظروف وأسباب.

التكيف يكون مع الاستجابة التي تخص الأفكار والملابس والقوانين والكثير من الأمور الأخرى، ورغم ذلك قد لا يكون تكيفا كليا، وقد يكون تكيفا لحظيا، وقد يكون تكيفا متصلا بأمور داخلية، ورغم ذلك أثبتت التجربة البشرية أن العقل البشري يتكيف مع كل الأمور بسرعة، وقد تكيفت مع السينما المنفتحة حينما سافرت إلى بعض بلدان العالم وشاركت في بعض الأفلام القصيرة هناك، وقد كان تكيفا متصلا بالأفكار والتعبير عن الرأي بقوة في حقيقة الأمر.

في ليلة من الليالي الباردة، تلك الليالي التي كنت فيها وحيدا، جاءني في منامي رجل غريب، أمسك بيدي، أخذني وأسرع بي إلي حافة قمة جبل مهيب، وقد رأيت جمعا حاشدا ذا هيبة وجمال، وكانت هناك ذبائح تنحر ، وكان الناس يأكلون دون توقف، وقد تركني اللعين واقترب مني رجل عجيب، ظننته في بادئة الأمر مجنونا، اقترب من أذني وأخبرني بأن الأفكار تتولد باستمرار ، وضح لي أن الترابط بينها غير موجود علي طول الطريق، وقد قدم لي فتاة جميلة صهباء، فاقتربت منها محاولا احتضانها، لكن الغريب في الأمر تمثل فيما ظهر لي، فقد رأيت وجه فتاة كنت أحبها في الأيام الخوالي، وكانت تسخر مني باستمرار وتلعب الألاعيب دون تمهل أو تراجع، ورغم ذلك كنت وقتها منساقا وراءها، لكن ما قطع الصلة تمثل في سفرها ومغادرتها من أجل الدراسة في الخارج.

أصبح جسدي ملاصقا لجسدها، وكدت أن أتزوجها، فقد كانت الوليمة معدة من أجلنا، وكانت المعزوفات تلاعب الأجواء، وكأن الحلم قد جاء ليحقق ما كبت في الماضي وصار مآله إلى الرثاء، وقد أيقظني كلبي المحبوب، كلبي البوميرانيان العسول.

كان القرط الهوب يزين أذنها، وكان قلبي يرتجف وقتها، لكن انقطاع الحلم أشعرني بحزن شديد، فقد فرت الأفكار دون أن أمسك بها وأستمر في التنقل بين نقاطها، وكأننا نحب أن نكمل الفكرة حتى ولو كانت محزنة ومؤذية، وحتى ولو كانت لا تسمن ولا تغني من جوع.

معظم الأفكار التي تلاعبنا لا تؤدي إلى حلول واضحة، ومجاراتها أمر يحبه العقل لأنه يبحث باستمرار عن المشكلة، لكن القدرة على قطع الطريق قد تتولد مع الكبر عند الكثيرين، وهو ما أعتبره نجاحا في حقيقة الأمر.

رجل يزور المنزل في المساء، الرعد والبرق واضحان، السماء مضطربة والأشجار تتلاعب كدمي، يفتح ستارة البانيو، امرأة تصرخ بقوة، حيث يقاطعها بينما تستحم، يحاول أن ينال منها بينما تقف أمامه دون لباس، يناولها ملبسها ويطعنها بسكين، لكن الطعنة غير واضحة، إنها طعنة غير مفهومة، طعنة تحتاج إلى التفسير والتحليل.

لماذا ناولها الملبس؟ لماذا طعنها بهذه الصورة؟ لماذا ولج المنزل؟ وكيف هرب؟

تتوالى الكادرات.

انظر إلى ما فعلته أيها اللعين. انظر إلى ما فعلته بالسكين.

تتوالى الكادرات.

انظر إلى ذلك الوجود، تأمل التجربة، تعرف إلى الكثير من الأمور، لا تبحث عن الأجوبة باستمرار، فمعظم الأسئلة لا تمتلك جوابا واضحا، اسع نحو الخلاص، اقترب من الإله، تعرف إلي الخير وانبذ الشر، اعلم أن الخلاص يكمن في التقليل من تكالبك، لا تتفاعل بسهولة، وتعلم الصبر والرضا.

إنها كادرات من العمل السينمائي الطويل، إنها كادرات تستحق التصفيق من فرط حلاوتها وأناقة عناصرها وجمال هيئتها، لكن العري غير صريح والإيروتيكا في حاجة إلى توطيد.

البطلة تتيه وتتبرج، نخوة الرجولة تثور في قلب حبيبها، حيث أنها ترقص من أجل الرجال، يتحرك الحبيب، يتحدث بصوت متهدج خفيف، يخبرها بضرورة أن تتوقف عما تفعله، فتخبره بأنها تفعل ما تحب، فيغادر المكان وينسي الكلام.

إنه مشهد مطول عظيم، مشهد قادر علي بث الحماسة في الأرجاء، وقد عملنا على إتمامه بشكل أنيق، وكانت الألوان واضحة ومناسبة، كألوان فيلم أخرجه أندرسون وأدرج فيه فنه وجمال خياله.

من كثرة تعرضي للبيئات المختلفة والتعامل مع الشخصيات المتنوعة، صار ذهني متفتحا بشكل لا يوصف، فكنت ألج الكثير من البيئات المتحررة والأخرى التي تعمد إلى الحجب دون أن أشعر بأي فرق. كنت أعامل الأشخاص وفقا لسلوكهم لا وفقا لشكلهم أو لبسهم أو لونهم، ورغم أن ذهني كان يصف بعض الأمور بالغريبة، إلا إنني كنت أمر مرور الكرام ولا أهتم سوي بالانسجام مع بيئتي الداخلية قبل كل شيء.

عليك أن تقحم نفسك بداخل التجربة وألا تنساها، فلا تتحدث عن الناس وتنسي التحدث عن نفسك، لأنك حينها ترتكب خطأ شنيعا، ذلك الخطأ الذي ارتكبه الكثير من المفكرين على مدار التاريخ.

فعندما تصف الكثيرين بالحمقى، من الضروري أن تصف نفسك بالأحمق أيضا، فإظهار العلوية الدائم ينم عن خلل في الشخصية، وإقحام الرأي في مؤخرتك قد يمثل الحل الأمثل في معظم الأحيان.

كنت أحدث نفسي بهذه الكلمات بينما كان الليل ضيفي وكان الشباك مسندي، وقد تنقلت بين الأفكار دون قدرة على التوقف، لكن الغريب في الأمر، تمثل فيما رأيت بأم عيني، فقد شاهدت امرأة تجري في الأسفل محاولة الفرار من معاكس شرير، وقد أسرعت بالنزول ونالت مني صدمة لا توصف.

كان رعديدا يلاعب دون أن يمسك يباغت دون أن يلمس، كان أيره متخفيا كأير خليع قد نال منه الزمان، وقد تجمعنا وأمسكنا به، وقد أظهرنا شهامة لا توصف.

أسرعت المرأة بشكري وأخبرتني بأنها سعيدة لوجود أمثالي، فتبادلنا المصافحة وصعدت إلى منزلي، لكن ما جاءني في منامي قدم لي بيئة غريبة، حيث رأيتها ترقص من أجلي مرتدية البكيني، وكانت الطيور تغرد حولنا دون توقف على جزيرة عرفت بجزيرة البلابل، عذرا، جزيرة البلابل والعنادل.

-١٨-

كان الفيلم يتحرك إلى الأمام، كان الزهو واضحا كما يلاعب الشبان، لكن التيه تيهان، والكبر قد يجعل الإنسان في حالة من البحث عن النشوة مهما كلفه الأمر ومهما كشف عن الجنان.

جاءتني دعوة إلى احتفال غريب من صديق قريب، وقد ذهبت إليها في عجلة من أمري، وكان الليل حالكا بشكل مريب، لكن صديقتي العزيزة التي كنت أدلعها بإيفا، كانت ترافقني كما ترافق العصفورة المتزنة العصفور الحيران، وكانت الأجواء مفعمة بسخونة الدماء، تلك الدماء التي تجري في العروق وتوطد ملامح الحيوات.

ولجنا مقر الحفلة، مرت الدقائق، حانت لحظة العرض، وجدت رجلا يرتدي زي باتمان، ولج المكان في حيوية ونشاط، بدأ في تقديم عرض غريب بعد أن حضر بسيارته البورش ذات الطراز الفريد.

اللعين، ذلك اللعين الذي أخذ يتخلص من ملابسه، القطعة تلو الأخرى، وقد كشف عن كل شيء في نهاية المطاف، فصفق الحضور الباحث عن المتعة متجاهلا حقيقة أن المتعة تتحول إلى ألم في النهاية كما يقول نيتشه.

ولكن هل كانت المتعة موجودة حقا؟ هل كان الموقف يستدعي كل هذا الضحك والتصفيق والاقتباس من الطراز الأوروبي الخليع؟

أعتقد أننا كنا خلعاء جميعا وقتها. أعتقد أن رجلا كان يرسل من نايه أنغاما جعلتنا في غفلة عن الحقيقة حينها. فقد كان الفؤاد مفعما ببواعث النشوة، لكن الزيف كان يتوج اللحظة، وكانت الحلة مبتدعة، فلم تكن مناسبة للفن الأصيل والموهبة التي كثيرا ما تحدثنا عنها دون تجسيد سريع يرصد في التو واللحظة.

قد يرصد المرء الخطأ رغم كونه مكتوبا على كل البشر، لكن التعميم خدعة والأمر قد يتبدل في لمح البصر والتدرج بمثابة الأساس.

في لمح البصر، تلاشت حضارات، في لمح البصر، هلكت شخصيات، في لمح البصر، تغيرت أحوال ظننا أن دوامها كان ممكنا رغم كل المنغصات.

الكثير من القامات التي نفتخر بها لا تمثل سوي بقايا انتهت صلاحيتها في العالم الأول وعادت إلى أوطانها، العديد من أصحاب المكانات البارزة لا يمثلون ما يتحدثون عنه، البشر قد ينصحون ويفعلون ما يخالف نصيحتهم، المنظومة الأخلاقية غير موجودة بالشكل الكامل إلا على الورق، العلم لا نهاية له والسعي يحتاج إلى الإيمان، والإيمان في حاجة إلى التوازن مع الروحانية.
الروحانية تسود في نهاية المطاف عند كل من هو حكيم، فتتلاشي الرغبات، وتبدأ الكلمات في التحول إلى أفعال.

كانت هذه الكلمات تمثل بعض النقاط المحورية التي خصت حواري مع صديق عزيز بينما كنا نحتسي القهوة في أحد مقاهي ستاربكس بالتجمع، وقد ولجنا بعدها محل ملابس بربري لنتفقد كل ما هو جديد، لكن الأسعار كانت قد صعدت إلى السماء، والمعاطف صارت وقتها محض خيال، فقد كانوا يبيعون المعطف الذي يباع ب٢٥٠٠ وحدة في بلاده بما يقارب ال٥٠٠٠٠ وحدة في بلدنا، ورغم ذلك تبقي ال٢٥٠٠ وحدة أمرا كبيرا في الخارج.

أخبرني صديقي أن الرحيل قد صار ضروريا، فأخبرته بأن المعطف يلاعبني في حيوية، فحدثني بأن النفس تطلب كثيرا وتتجاهل الحقيقة، ووضح لي أن معظم الأمنيات تصبح أمرا عاديا بعد أن تنتهي حالة الترقب.

أخبرته بأنني كنت أمازحه، فقد كان الأمر أشبه برغبة مراهق في أن يدفع فاتورة تشبه فاتورة لاعب شهير أو يحلق في السماء

بطائرة ممثل بارز أو يلعب مع كل الجميلات دون أن تفني طاقته.

لقد ضحك وقتها بشدة، ضحك كما يضحك شيطان ماكر أغوى الكثيرين على مدار السنين، وقد أخبرني بأن المتعة تكمن في الرحلة لا في الوصول، وحدثني بأن بعد البلوغ يصبح ما بلغ أمرا عاديا روتينيا تقليديا مألوفا، فصفقت من أجله ورفعت قبعتي، فأخبرني بأنه قد لبس القبعة البيضاء على طول الطريق، لكنه صار مؤخرا يتساءل كثيرا إذا كان الأمر قد استحق كل ذلك!

أخبرته بأن ارتداء القبعة البيضاء أمر صحي، حتى ولو لم تكن النتائج ملحوظة على المستوي المرئي، لأن النتائج غالبا ما تحصد في نهاية المطاف، وهو ما يمثل المنطق والصواب.

أخبرني بأن العقلية مهما اختلفت، لن يحصل صاحبها سوي على بعض الأمور التي نصها القدر من أجله، وضح لي أن القبعة البيضاء تؤدي إلى نتائج والقبعة السوداء تؤدي إلى نتائج أخري، حدثني بأن كلتا الحالتين بمثابة الطريق المباشر إلى ما كتبه القدر وبأن بعض الاختلافات قد تتمثل في الثمرة المادية إلا أن الثمرة المادية مؤقتة ومصيرها التلاشي، وهو ما يمثل المعروف والمعهود.

صفقت مجددا، تسللت النشوة إلى كل أرجاء الذهن، أخبرته بأن كل أمور الدنيا تتصل بالبدايات، فالنشوة متصلة بالطليعة، والحقيقة تتضح مع مرور الزمان لتكشف عن المنطق الذي يخبرنا بأن كل الطعام واحد وكل النساء واحدة وكل المال سراب وكل الأماني صراع عقل تقل وطأته مع التقدم إلى الأمام بعد أن تكثر المشتتات وترهق الأذهان.

خبطت كرتيه بيدي، ضحك، ضحكت وأخبرته بأن الإنسان بداخله حيوان يحدثنا عن النظام لكنه كائن مسعور إذا فتح من أجله الباب انطلق، مهما حدثنا ومهما أطال.

لقد جلست مع هذا الصديق في منزلي لفترة مطولة، كانت المدفأة تقوم بمهمتها علي أكمل وجه، كانت الأمطار تهطل دون توقف، كان الكلب ينبح أحيانا ويسكت أحيانا، لكنه لم يشاركنا الحديث قط، ولم يرغب في ذلك، ولم يصدر سوي ذبذبة صوتية، لم يصدر سوي طيف لا يرغب في تغيير العالم، بينما كانت كلماتنا ترغب في ذلك، وفي الوقت عينه كانت تعلم بينما كانت تغادر فمي وفمه بأنه من المستحيل أن تغير العالم، فالإنسان يتغير والعالم لا يتغير، الإنسان يهرم ويتلاشى والعالم يبقي، إنها الحقيقة التي لا مناص منها، فالغرور يصور لنا أنه من الممكن أن نحدث فرقا، لكن الفرق لا يحقق إلا بعد عناء، ورغم ذلك يبقي السعي أمرا هاما، لأن السعي بمثابة الأساس.

تحدثنا عن عمل الجماعة، أخبرني بأن العصر الجديد يتطلب العمل الجماعي ووضح لي أن ظهور اسم شخص على الساحة أمر عبثي في هذا الزمان وأن عمل الفريق بمثابة الأساس من أجل النهوض والتقدم إلى الأمام.

أخبرته بأن فيلمي يعمد إلى التشاور في الكثير من الأحيان إلا أن الجمود قد يتسرب بين الحين والآخر، لكنه جمود لا مناص من أن يفك، لعلنا نتخلص من كل المعوقات ونصل إلى بر الأمان.

"إنه تشاور بين أجزاء عقلي في حقيقة الأمر، إن الأمر كذلك، نعم، الأمر كذلك".

هكذا أخبرته. هكذا أخبرته. هكذا أخبرته.

اللعين، ها هو يقف أمامي ضاحكا مقهقها لا يكاد أن يعرف طريقا إلى التماسك و لا يرغب في الصمت أو الإمساك، ها هو يحلق بجناحيه ويخبرني بأن هراء فيلمي لا يحتاج إلى الأفكار و لا يقتات على التشاور و لا يعرف طريقا إلى النجاح، فسرعان ما غادرت مطرحي، وسرعان ما صفعته محدثا إياه بأنه من غير اللائق أن يثبط عزيمتي ويحبط موهبتي ويقلل من شأن فيلمي، فضحك بشدة، فطردته بعيدا عن داري.

بعد أن طرد، قفزت إلى بئر النوم، نزلت إليه بينما كنت أعرج، نزلت إلى البئر وشربت من ماء اللامبالاة، لكنني سرعان ما وجدت في منامي امرأة تجلس أمامي كاشفة عن جانب نهدها راغبة في ارتداء ثوبها حالمة بأن أكون أستاذها والكاشف عن موهبتها، فأخبرتها بأن الأحلام لا تتحول إلى واقع إلا حينما نقلل التوقعات، فكلما ارتفعت التوقعات، توطدت الآلام، وهو ما يمثل المنطق الذي من الضروري أن يكون دائما حاضرا في الحسبان.

فالروحانية تدعو إلى تقليل التوقعات، وهو سحر يؤدي إلى تلاشيها في نهاية المطاف، وحينها يصبح الإنسان حرا بشدة، لكنها حرية تمثل النوع الأفضل والأكثر قدرة على مجاراة الزمان.

في يوم من الأيام، ولجت مطعما كوريا مميزا، وقد كان برفقتي عدد من الأصدقاء السينمائيين. جلسنا نتحاور حول الكثير من القضايا الفنية الرائعة وتناولنا نقاطا هامة خصت الأفلام السينمائية المنتجة وقتها، وقد مر الوقت سريعا دون أن نشعر به.

كان المطعم مفعما بالكثير من الكوريين، وكانت الأجواء جذابة ذات لون أحمر تمكن من إقحام بعض عناصر الطراز الصيني، وقد لاحظت الطراز الخاص بالشبابيك وفنه الآسيوي العتيق، إلا أن اللحظات كانت تتأرجح بين السكون والجنون بشكل غريب، والحوار كان محاطا ببعض الضجيج.

بعد ذلك، توجهنا إلى بيوتنا، لكنني سرعان ما نزلت من جديد، وقد اصطحبت صديقة عزيزة إلي مقهى سميرة معتوق، وقضينا وقتا ممتعا هناك.

عدت إلى المنزل مجددا، وكانت معي الصديقة ذات الثوب الخلاب، وقد توجست شرا وقتها، لكنني سرعان ما تجاهلت ما أصدره خيالي، واندمجت مع اللحظة.

توجست بعض الطعام وشربت بعض قطرات الماء، وعرضت عليها مشروب بافاريا بنكهة الليمون والزنجبيل، وجلست إلى جانبها متحدثا عن الكثير.

كان ثوبها قصيرا يحمل علامة هيلفجر، وكان سواده يلاعب كل التراكمات السوداء التي ترسبت بداخلي على مدار السنين، كان يحاول أن يزيلها عبر تخديرها، لكن التخدير وهم كبير يقلل الضجيج لفترة قصيرة، قبل أن يعود الأمر إلى ما كان عليه، وقبل أن تسيطر الحقيقة كما هو المعتاد.

اقتربت مني وجلست تحاورني، وقد أخبرتني عن حقيقة أننا قد تقابلنا كثيرا في الأكاديمية دون أن نناقش مشروعي التخرج الخاصين بنا، فأخبرتها بأن مشروعي كان جلابا خلابا جذابا أما مشروعها فقد سيطر عليه سحر غريب جعل منه أمرا مؤثرا رغم انخفاض الميزانية وقتها.

جلسنا نشاهد فيلم "الخليع" لجوني ديب، وقد أخبرتها بأن الأداء في القمة وتحدثت معها عن موهبة ديب الفذة، وقد حدثتني بأن أداء بايك جذاب ووضحت لي أن شخصية مورتون ذات بعد فريد، فاتفقت معها معبرا عن سعادتي لوجودها معي وإقحامي في هذه البيئة الدافئة، تلك البيئة التي كثيرا ما افتقر إليها ذهني، رغم توافر الملذات ورغم كوني محاطا بالكثيرين، إلا أن الطابع الأنثوي الخاص بها كان يمنحني شيئا يشبه الحنين.

الحنين إلي البداية، الحنين إلي الطبيعة، الحنين إلي المنشأ، الحنين إلي الملاذ، لكن الحنين قد يتبلور ويتحور ويأخذنا إلي مكان كنا نظنه بمثابة الأمان، لكننا نكتشف بعد كل هذا الصراع أن الملاذ كان شيطانا أخرسا، تحدث في البداية وصار لعينا في النهاية، فأعرض عنا وأظهر شرا قد يملأ الأرض ويفيض، مما يجعلها تصرخ كاشفة عن وعيد، فتكشف التجربة وقتها عن أنيابها وتتخلص من الشر ومصدره، وهو ما يمثل ما لا يمكن تجنبه، فالحقيقة تقدم الرحمة حتي وقت محدد، لكنها

بعد ذلك تتخلص مما يصدر الضجيج، والطيب قد يتحول مع الوقت إلي شرير، والشرير قد يتحول مع الوقت إلي طيب، خاصة حينما يعجز الأول عن بلوغ مبتغاه، وعندما تخور قوي الثاني فيتحول كل ما منحه اللذة إلي ألم شديد.

حاولت احتضانها والإمساك بوجهها، فأعرضت عني ودفعتني بعيدا عنها، وقد أمسكت بعصا طويلة وانقضت علي تضربني كأم رأت ابنها الصغير يحك عضوه القصير في تصميم وإصرار.

لا يمكنني أن أنسي هذا الموقف، وأشعر بأسف تجاه ما حدث، وقد عرفت بعد ذلك أنها كانت ذات حالة متأرجحة، ورغم ذلك قد يمثل ما حدث التصرف الصحيح، لأنني كنت وقتها أحاول اللعب خارج الإطار السليم.

في مساء يوم دافئ، قطنت أريكتي، تأملت مشهد الأمطار في الخارج، لاعب ذهني طيف من أطياف السماء فأخذني إلى بيئة ثرية، فتحت التلفاز وجلست متنقلا بين الأفلام محاولا الاقتباس من أجل فيلمي الخلاب الذي كنت أعمل عليه مع شركة الإنتاج، لكن الركود كان ينال من العمل بين الحين والآخر، ورغم ذلك كان هناك ما يحرك الأذهان ويؤكد لنا أن العمل كان مصيره التمام.

شاهدت فيلم الكسوف لديلون، أتبعته بفيلم سايونارا لبراندو، وقد تنقلت بين أفلام الجمال العظيم وعدو الشعب والحي الصيني والخريج وكلوت وطفل روزماري والبوابة التاسعة والفهد وبوني وكلايد، وغيرها من الأفلام، وقد اتجهت إلى المطبخ وقتها من أجل إعداد العشاء.

حوريات البحر تصدر صوتا عذبا يكاد قلبي أن يغادر جسدي من أجله، أمواج البحر تتلاطم بينما يحوطها ظلام حالك، رجل غريب يجلس أمامي ويصفني بالمختل المجنون، الغريزة تغوي البشر وتأخذهم وراء السراب وتضاجعهم بافتراء، رجل صنع أفضل عطر وأدي إلى عربدة جماعية، أجد نفسي أمام أمي، تمنحني حضنا دافئا وتخبرني بأن الدنيا وهم غريب وتحدثني بأنه من الضروري أن أحذرها.

كان حلما عجيبا، وقد نال مني بينما كنت أتحرك من أجل إحضار الطعام. أصبح صدري مفعما بقشعريرة عميقة وصرت أسيرا لقيود صنعها عقلي بنفسه، وقد حاولت أن أعمد إلى التجاهل، فتمكنت، لكن الغريب في الأمر تمثل في حقيقة أنني

لاحظت شيئا قد مر أمامي بينما كنت أعد رغيف الجبن المختلط بالتركي وسبريد الزيتون اليوناني ذي القوام الفلفلي اللذيذ مدعوما بالبراتا والعسل الجبلي.

لقد رأيته بأم عيني، رأيته واضحا كما تظهر الشمس في كبد السماء، رأيته وشعرت بأحاسيس لم ألج غرفتها من قبل. كان شيطانا ماردا غريب السحنة يلاعبه الناسوت ويمسك بعود بخور، وكان يتحدث مظهرا سجع الكهان مصدرا التكلف وملامح البهتان، وعندما حاولت أن أمسك به، أخبرني بأنه لا يمسك، فضحكت كثيرا وقتها وأصدرت قهقهة متصاعدة.

كانت فتاتي قد عادت وفتحت الباب في صمت، وقد ارتدت ثوبا مخيفا منسيا كنا نعمد إليه أحيانا حينما كنا نلعب محاولين إقحام لمسة القوطية بداخل بيئتنا. إنها فتاتي المخلصة التي قضيت معها فترة دون الوصول إلى الحالة الرسمية، وقد حزنت كثيرا حينما افترقنا.

أعددت لها شطيرة، جلسنا سويا نتسامر، تناولنا مشروب البينا كولادا، اتجهنا إلى غرفة النوم، وقد بدأ الأبطال الصناديد في الكشف عن حقيقتهم، حيث أنني قد ولجت معركة لم أفهمها، وكنت لا أفهمها في كل مرة، وقد جن جنونها وفلتت من سيفي ومرقت من سهمي، فقد رأت أنني كنت في حاجة إلى بعض العطر.

وضعت عطر إيروس فليم، ارتديت بيجامتي الكاستور وروبي الرجالي العجيب، وقد قفزت إلى السرير، فخبطت ركبتي، وقضينا الليلة في محاولة إصلاح ما فسد وإشباع دائرة الحيوانية

التي لا مناص من أن تقطع في يوم من الأيام بعد أن ينال البياض من الشعر ويوهن الجسد.

قد تتقلب أفكار الإنسان على مدار اليوم، فمن الممكن أن يهاجم شيئا في الصباح وينساه في المساء، ومن الممكن أن تتلاعب به الكيمياء، ومن الممكن أن يهاجم شيئا في إصرار.

في يوم من الأيام، قرأت كتابا لرجل يرصد الغرائز والأهداف البشرية بتعمق، لكنه يدعو إلى تنظيمها ويؤكد على أن المنظومة لا تبلغ منذ البداية عند الأغلبية، لكنها تخترق في البداية ويتم السعي إليها مع الوقت عند معظم الناس، وهو ما يمثل الحقيقة التي يخاف الكثيرون الإفصاح عنها.

فالمنظومة الأخلاقية على سبيل المثال، لا تطبق بالشكل الكامل، ولا يطبق سوي جزء منها، ومن ينجح في تطبيق جزء يعجز عن تطبيق الجزء الآخر، ومن يخبرنا بأنه يطبقها بشكل كامل كاذب، ورغم ذلك من الممكن أن يخالف المرء الجزء المقبول، فلا يقترف ما يجعله مجرما أو مخطئا كبيرا أو متدنيا على المستوي الأخلاقي، فعلي سبيل المثال، من يكذب في إصرار يختلف أمره عمن يتفوه ببعض الكلام غير اللائق وسرعان ما يعتذر عنه.

عملية الرصد نفسها أمر كبير وخطير قد يعرض صاحبه إلى الكثير من المشاكل، ولكن الواثق في نفسه لا يهمه الهراء ولا يهتم سوي بإثبات وجهة نظره التي يؤمن بها.

كانت هذه الكلمات تمثل سياقا خاصا بمراجعة كتبت عن الكتاب، وقد سعدت بها هي الأخرى، لكنني بعد ذلك توجهت إلى عمل أدبي عظيم من تأليف ألبيرتو مورافيا، ورغم ذلك كانت

الترجمة متواضعة، إلا أن بعض اللمسات قد جعلتني قادرا على الوصول إلى القمة.

الترجمة عملية محورية للغاية، وعمود من عمد التواصل البشري. ورغم ذلك، قد تفتقر إلى الدقة في الكثير من الأحيان، وقد يتسلل التلاعب إليها بسهولة. فما يتناقله الناس بواسطة الترجمة، يحرف ويفقد صحته وبلاغته مع الوقت. فالترجمة تنزع عن النص بلاغته وتجعله عرضة إلى التلاعب والتحريف في معظم الأحيان.

ولهذا من الضروري ألا نقارن بين كتاب أصلي وكتاب مترجم، فالفائز هو الكتاب الأصلي قبل أن يحدث أي جدال أو نقاش في حقيقة الأمر، وهو ما يمثل المنطق والحكمة والصواب.

اكشف لي عن نسختك الأصلية، وحينها من الممكن أن نتحدث سويا، اكشف لي عنها، اكشف لي عنها، ولكن من الضروري أن يكون الحديث خاليا من التجسيد بكل تأكيد.

بعد أن نالت مني هذه الأفكار، نزلت يومها إلى الشارع، وقد ولجت السوبرماركت بهدف شراء بعض المنتجات.

قهوة عربية أصيلة بالزعفران، قهوة عربية أصيلة بالحبهان، صوص فرانكس حار جدا، صوص باربكيو بالعسل، بعض التورتيا، عدد من زجاجات الشعير، عسل جبلي إسباني، جبن براميلي بالفلفل، نودلز، شاي كرك، شاي خرز، بسكويت بالشوكولاتة الداكنة، بريسكت، كلها منتجات اشتريتها وأسرعت بالرحيل بعدها، لكنني بمجرد أن عدت إلى المنزل،

وجدت صديقا و اقفا عند بابي مستعدا للتحدث عن خطة العمل التي تخص الغد.

في المساء، قرأت نصوصا فريدة وجدتها في كتاب قصير لباحث يدعي "المعتز ذو الفقار"، وقد جلست أتنقل بين سطوره في إصرار، ووصلت إلى الكثير من النقاط التي خصت الحوار.

"ولقد وصلت أيها القارئ العزيز، بعد أبحاث كثيرة أجريتها على الكائنات البشرية، إلى حقيقة أن الCandaulism يتمثل بسهولة في استمتاع الرجل بعرض جسد امرأته أمام أشخاص آخرين، فمن يحب أن تسير امرأته بملابس قصيرة للغاية، يستمتع بين الحين والآخر بهذه الهيئة، وهو ما يتصل بالVoyeurism والExhibitionism أيضا، حيث أنه قد يعتبر جسدها جسده ويحفز ذلك بداخله سياق التعري، وكأنه هو من يكشف عن جسده، وفي الوقت عينه قد يستمد المتعة من خيالات داخلية متطرفة تتصل بالاتصال الحميمي بينها وبين آخرين، إلا أن هذا الإطار لا يفعل باستمرار، ويفعل علي وجه الخصوص حينما تحفز الهرمونات وتتيح البيئة هذا المزاج. ومن الضروري أن أؤكد على حقيقة أن الرجل يستمتع بالكشف عن بعض أجزاء جسده أيضا بين الحين والآخر، وهو ما يدفعني إلى توضيح السياق الأخلاقي والديني المعروف، والذي يتطلب الحجب والتوظيف داخل الإطار الصحيح والمقبول، والعمد إلى الوسطية والعقلانية فوق كل شيء. فالاستغناء عن المتع، ومن بينها المتع الحسية، أمر يتصل بالتطور والتقدم إلى الأمام واستجلاب أحوال الروحانية والاقتراب من طريق الإله".

"إن المرأة تستمتع بالكشف عن جسدها ضمن إطار تصل نقطة تطرفه إلى سياق الExhibitionism، لكنها تدرك مع الوقت،

خاصة مع التدهور الجمالي الذي لا مهرب منه، أن الأمر لا يستحق كل هذا، وتبدأ في انتهاج طريق العقلانية والوسطية الجميل، ورغم ذلك لا يمكنني أن أعمم فيما يخص كل الجوانب".

"مع الوقت والتكرار، يصير السياق الحميمي أمرا عاديا عند الذكور والإناث، وتقل الرغبة في متابعة الVoyeurism، ورغم ذلك تكون هناك محاولات إشعال متكررة، إلا أن مسئوليات الحياة تنال من الأغلبية، والاقتراب من الروحانية يصبح أمرا محوريا عند العقلاء والعاقلات".

"السلوك الحميمي يتطلب سياقات غريبة، ورغم ذلك من الممكن أن يغيب هذا التوصيف عن هذه السياقات في عصرنا الحالي، فقد أدرجت الكثير من السلوكيات الغريبة تحت بند الإطار الطبيعي مؤخرا، إلا أن الشذوذ التوظيفي أمر غير مقبول علي المستوي الديني والأخلاقي بكل تأكيد، حتى في المجتمعات التي تحاول التكيف معه".

"الغيرة أمر واضح عند الكثير من الذكور والإناث، وهو سياق يتعارض بشدة مع الCandaulism، فالغيرة لا تسمح لهذا النوع من المتعة بأن يكون موجودا، وهو ما يتماشى مع السياق الديني والنفسي الأصيل، إلا أن الغيرة المتطرفة تمثل اضطرابا واضحا بكل تأكيد".

كانت نصوصا فريدة غريبة عجيبة جمعت بين أفكار استثنائية واتجاهات داخلية ومحاولات تعبير اتصلت بالرجل وترجمت عواطفه إلى أفكار وأبحاثه إلى كلمات، وقد نمت بعدها نوما

عميقا وجاءني في المنام الباحث الغريب مخبرا إياي بالكثير من الكلام، فأخبرته بأنني شعرت بأنه يسخر من تجربة الإنسان ويصور البشر وكأنهم يعيشون من أجل متعهم فقط، رغم أن المسئوليات ترهقهم في استمرار و لا يحصدون المتعة إلا بعد وقت طويل. أخبرني اللعين بأنه من الضروري النزول بالكائن المغرور صاحب الفضول، إلى أسفل سافلين، والتهكم حيال أفعاله وسذاجته التي تخبره بأن سعادته كامنة في متعته رغم أنها كامنة في الترفع والاقتراب من الروحانية بكل تأكيد. وضح لي أن كثرة الأماني وارتفاع سقف التوقعات والسعي نحو الكمال والتكالب وعدم الاكتفاء بمثابة الطريق المباشر إلى الحزن والكآبة والجحيم النفسي قبل الجحيم الحقيقي. حدثني بأن المعاصي بريد الكفر وبأن التكالب حيال المتع يخرجنا بعيدا عن الإطار الصحيح وبأن الرغبة في كل ما هو جديد بمثابة السراب والسعي وراء الآثام، فاتفقت معه ومنحته مشروبا إسبانيا فوارا من العنب الأحمر الخالي من السكر المضاف، فشكرني بكثرة وطار مرتديا قناع ملاك.

افعل ما شئت أيها الإنسان، فكل شيء تم استنساخه على مدار الزمان.

وكل ما تفعله سجل بتفاصيله، وإن كنت تطلب رحمة الآخرة للجميع، فافعل المثل فيما يخص الدنيا، وانس صراعك مع أخيك.

ما الدنيا إلا أمواج تتتابع، وما الذاكرة إلا محاولة للتكيف مع عاجلة لا تمنح الإنسان الاستقرار عند لحظات الانتشاء، تلك اللحظات التي سرعان ما تمر وسرعان ما تندثر.

عنيد، مغرور، تري أن الدنيا تلف حولك، رغم أنك لا تمثل سوي كائن صغير لا يعرف سوي القليل، ورغم ذلك من الضروري أن تعيش حياتك وتبتسم وتحقق ذاتك وترتسم، دون تكلف أو مبالغة، وهو ما يمثل المطلوب.

- انظر إلى ما فعلته، انظر إلى ما فعلته، لقد فصل الأمر من أجلك أيها الجهول، لا لم يفصل من أجلك، لا لم يفصل من أجلك، أنت من ارتكبت كل هذا الهراء من أجل ما لا يفيد.

- لم أفعل شيئا سيدي القاضي، لم أفعل شيئا، إنها امرأة لعينة قوية شديدة، فالنساء ماكرات مخادعات لعوبات، فلم يكن الأمر بيدي بأي شكل من الأشكال، لم أقتلها، لم أقتلها.

ينتهي الأمر، يتحرك السجين منتحبا بعد أن حكم عليه بالإخصاء والإعدام، فقد مر الأمر دون سلام، وقد حدث ما لم يكن في الحسبان.

كان مشهدا سينمائيا مميزا من فيلمي العزيز، كانت السريالية تلاعبه وكان الفن يتوجه، وقد استعرت الكثير من النقاط من فيلم الخوف والبغض في لاس فيجاس، وقد قرأت كثيرا عن هانتر طومسون وقتها.

لا يمكنني أن أنسي مشهد الفتاة الشقية التي قابلت البطل في المصعد، فقد أخبرته عن نفسها وحاولت التعرف إليه بكل الطرق، وقد نجحت في ذلك رغم خجله وقتها، وقد صعدت معه إلي الشقة، لكنهما بمجرد أن ولجا المكان، حدث ما لم يكن في الحسبان، فقد طلبت المتعة بشكل غريب لم يفهمه عقله

المقيد بالحديد، فطردها بعيدا عنه وأخبرها بأن النساء يسحبن طاقات الرجال، وهو ما يمثل المعروف بطبيعة الحال، إلا أن المتعة المصاحبة توهم الذكور بأنه من الممكن الوصول إلي كل ما هو غير مفهوم، ورغم ذلك يري آخرون النقيض، حيث يرون أن الطاقات لا تسحب بكل تأكيد، بل تجدد وتمنح الجميع نشاطا ذا طابع فريد.

"عندما يكون الإنسان متعبا، تهاجمه أفكار تخص صراعات انتهت وانتصر فيها في الماضي، هكذا يقول نيتشه، ذلك الفيلسوف الذي تحدث بشكل صحيح أحيانا وبشكل مختل خاطئ أحيانا أخري، كما هو الحال مع كل الرفقة، شوبنهاور، سيوران، وغيرهما. ورغم ذلك، ربما يمثل كل ما نجم عن سيوران هراء، فالفلسفة أنتجت الكثير من الهراء على مدار التاريخ، ورغم ذلك قدمت أمورا عظيمة ضمن سياق آخر، خاصة فيما يخص الذكاء القادر على سرعة التحليل".

إنها حالة من النقد الصريح، حالة رصدتها في كتاب يدعي "حماقات الفلسفة الغربية: الغرور والوهم البشري"، وقد لاحظت أن الكاتب قد قلل من شأن كل شيء. في حقيقة الأمر، لا يمكنني أن أنكر المنطق الذي يخبرنا بأن الإنسان يخطئ ويصيب، لكن الكاتب ركز على الخطأ بشكل أكبر كمحاولة منه لإخبار الإنسان بأن يتخلص من غروره لعله يصل إلى بر الأمان.

كنت وقتها جالسا في مكتبة مميزة، وقد جاءت امرأة جميلة دون أن أشعر بقدومها، وقد كنت وقتها رجلا جبارا لا قلب لي ولا عاطفة.

كانت ترتدي قميصا ذا حمرة فاقعة يحمل علامة رالف لورين وكان مدعوما بجونلة تكشف عن خطوط هيلفجر وفخذين غضين، وقد التفت إليها بعد لحظات بينما كنت أتحرك في الاتجاه المقابل، إلا أنها قد همت بالمغادرة بعد أن أحست

ببرودي، فأسرعت بدعوتها إلى العشاء، فأخبرتني بأننا نعيش في مجتمع محافظ وبأنه من الضروري ألا أتفوه بمثل هذا الهراء.

احمر وجهي، ارتعش أيري، أحسست بمشاعر متخبطة، نالت مني صدمة كاسحة، استيقظ قلبي الذي ظننت أنه قد صار صلبا، تذكرت كل صراعات حياتي، لكن ما أوقف اللحظة وأعاد البسمة تمثل في ضحكتها المائعة وابتسامتها الشافية، فقد دعتني هي إلى العشاء معبرة عن إعجابها التام.

كانت النساء وقتها قد صرن سائدات، وقد أصبح شأنهن شأن الرجال، وكان هذا العصر متأثرا بالنهج الغربي إلا إنه كان مغلفا بغلاف ثقافتنا العميقة، ولكن لا يمكنني أن أنكر حقيقة أن هذا الجيل لم يكن هاربا بأي شكل من الأشكال، فقد كان يعود إلى الجذور في نهاية المطاف ويحاول الالتزام قدر الإمكان بعد أن يكتشف خطأه المرير ويدرك عظمة فكرنا الرشيد وبعد أن تخور القوي بكل تأكيد. لكن التخبط كان موجودا منذ القدم حتى في الثقافات الأخرى، فنحن نأخذ منهم وهم يأخذون منا، وكل منا يعود إلى جذوره في النهاية، لكن جذورنا بمثابة الأساس والصواب. نعم، التخبط موجود منذ القدم، لكن ما استجد على الساحة، تمثل في عملية الرصد والمتابعة، لا أكثر ولا أقل. ورغم ذلك هناك ثقافات أكثر تأثيرا من ثقافات أخري.

كانت ليلة مميزة، ليلة أخذت إبداعي الفني وأفنته، ليلة أثرت علي أفكاري السينمائية التي كنت أعدها من أجل فيلمي، لكنني اندمجت وقتها مع اللحظة، وقد طلبت دجاجا حارا مدعوما بشرائح بريسكت وأرز مميز، وقد طلبت هي المثل، وجاءنا بعد ذلك كعك مميز يحمل أعلاه فتيات يرتدين

البكيني، وقد شعرت بقشعريرة سربت صدى العشق إلي قلبي، فنهلت من نهر الحب وتبادلنا الكلمات العذبة، لكن ما قطع اللحظة تمثل في ظهور رجل غريب، رجل ولج المطعم بشكل عجيب، وقد طلب الفتات، فمنحته بعض الطعام وأسرعت بالمغادرة مع الجميلة ذات الحلة المثيرة.

وبينما كنا في الطريق، جاءها هاتف لعين، فاعتذرت في إصرار، وغادرت الساحة دون إنذار. فشعرت بأن الشر قد انقطع وأخبرت نفسي بأن الرشد قد زار الساحة بكل تأكيد.

المختلون كثيرون والعاقلون قليلون، وها أنا أضم إلى صدري كأس أنيني، لكنني سرعان ما أقذفه بعيدا عني وأقفز إلى سريري.

تحسس معي المرتبة عزيزي، تحسس معي هذه النعومة، إنها نعومة صنعت لتريح الأجساد المرهقة، إنها نعومة صنعت لمن يرغب في الرفاهية الزائدة، لكن الحياة جولات من الراحة والتعب، ومن ظنها لونا واحدا فقد خدع.

في عينيها الزرقاوين الصافيتين وجدت صراعا قد تخفي، وجدته يلاعبني من بعيد، وقد أحسست وقتها بأن الأمور التي تبدو صافية تحمل وراءها الكثير، فقد أظهرت فتاة القهوة اضطرابا كانت تحاول باستمرار أن تخفيه وأن تنكره بقناع الراحة الذي يحاول الإنسان أن يرتديه، حتى ولو كانت حياته معكرة بصراعات لا تنتهي ولا تعرف السكون.

برح بي هيام شديد، تساءلت عن حقيقة الحياة، عن سر الوجود، عن سبب التشاحن في الأجواء، عن السلم المخادع، عن الاجتماعية المنهكة، عن حقيقة أن الاجتماعية بمثابة الأساس رغم أنها ترهقنا على مدار الحياة، لكن الاجتماعية هي الحياة، وبداخل الحياة يكمن عناد شديد وإصرار عظيم وصراع دفين، إلا أن الود نسعى من أجله والحب يتوج حياتنا بكل ما هو جميل.

ضحك صديقي، ضحك صديقي الأنيق، وقد أخبرني عن تعجبه من أمري واعتقاده بأن عقلي قد شت، فأخبرته بأن العقل يفقد بريقه مع الوقت وبأن الحياة لا تولد في الأذهان إلا القليل على مدار الطريق، فيصبح التكرار نغمة سائدة ويصبح التكيف أمرا جليا.

لقد أنهي قهوته الأيرلندية قبل أن أبدأ في ارتشاف قهوتي، وقد أخبرني بأن الإنسان كائن غريب، فعندما تحدثه عن الرحمة يخبرك بأنك قد ارتكبت جرما في الماضي، وعندما تحدثه عن العقاب يخبرك بأنك قاس صارم مغلق الذهن عديم القلب، وعندما تحدثه عن الأمرين يخبرك بأنك مختل، رغم أن جوهر الدين قائم على تحقيق التوازن بين فكرة الرحمة وفكرة العقاب،

حتى يؤكد أن الأمر بيد الله وحده بكل تأكيد، وحتى يوضح أن تجنب العقاب وطلب الرحمة أمر ممكن.

اتفقت معه وسألته عن سر تسرب هذه الأفكار إلى مسارات ذهنه، فأخبرني عن حقيقة أن الأفكار كثيرا ما تتسرب إلى الأذهان دون أن نشعر، وكأن العقل اللاواعي يلاعبنا من بعيد، فضحكت كثيرا وقهقهت دون سكون، فنظر إلي في تعجب وغادر الجلسة في تبرم معبرا عن تعجبه من أمري.

جاءتني فتاة القهوة لتسألني عن رغبتي في شيء جديد، فأخبرتها بأن الحياة دائرة مغلقة من الإرضاءات المتكررة التي من الضروري ألا نسايرها على مدار الطريق، فضحكت كاشفة عن بهاء اتصل بأنوثة طاغية وأخبرتني بأن في فلسفتي يكمن شيء غريب، فأخبرتها بأن فلسفاتي متذبذبة لكنها ترصد الحقيقة في عناد وتصميم.

أحضرت لي رغيف خبز يحمل بين جانبيه قطعة برجر مميزة يتوجها الكاتشب الحار ويلاعبها جبن لذيذ، أما الخس فقد امتزج بالبصل والطماطم والصوص كاشفا عن مذاق قادر علي إساحة الأذهان وإرخاء الأجساد وملاعبة الحيوان والوصول به إلى بر الأمان. كانت البطاطس ذهبية مخلوطة بجبن أشعرني بلخبطة وقضي على اللحظة، فسرعان ما تجنبته وسرعان ما ركزت على ما يمنحني اللذة، لكن اللذة سألتني وقتها عن إمكانية المغادرة لأنني قد أسرفت في التنقل بين طياتها، فسمحت لها بذلك مرغما وعدت إلى العمل مسرعا.

فالجلوس في حضن اللذة مريح، لكنه كثيرا ما يجعلنا نتساءل عن موعد حلول الريح، فالريح قد تكون ريح الصبا وقد تكون

ريح السموم، لكن الكد والبحث عن القيمة بمثابة التوازن واستجلاب أحوال الأمان في الكثير من الأحيان.

اقتيد سجين آخر إلى نهايته، اقتيد إلى التلاشي والاختفاء بعد الاعتقاد بإمكانية البقاء، فالبقاء وهم لا يسايره إلا السذج والتلاشي بمثابة طبيعة الدنيا التي لا مناص منها، فما يجمعه المرء يجمعه من أجل نسله، وما الحياة إلا محاولات تسكين.

كان مشهدا غريبا من مشاهد العمل، وقد تبعه مشهد رومانسي جمع بين رجل وامرأة يتبادلان الحب ويتنقلان بين كلمات العشاق، لكن ما جعلني في حيرة وقتها، تمثل في التعقيدات التي نالت من العمل، فقد شعرت بأن القصة قد خرجت بعيدا عن السياق وبأن النغمة صارت مزدوجة، فكان العمل يحدثنا عن التفاؤل والإصرار والتقدم بقوة إلي الأمام، وفي نفس الوقت كانت نغمة التثبيط والكسل والخمول موجودة، لكن الفرق كبير بين الروحانية والخمول، الفرق كبير بين الرضا والكسل، فالروحانية والرضا متصلان بالعمل، أما الخمول والكسل متصلان بالنوم في سبات والتنقل بين الويلات.

عدت إلي المنزل محبطا، فتحت الباب، ولجت المسكن، قطنت الأريكة بعد أن تخلصت من ملبسي وفرشت أسناني وأحضرت مأكلي، جعلت التلفاز يعمل بصوت منخفض، جلست لأكمل رواية دون كيخوته، وقد سعدت بوصولي إلي الفصل الحادي والعشرين، حيث الرصد المتعلق باستمرار عرس كمتشو والعديد من المغامرات الأخرى الرائعة، وقد انتقلت بعد ذلك إلي رواية غريبة تتحدث عن امرأة تمنت الكثير ولم تحصل حتي علي ربع ما تمنت، لكنها تمكنت من الحصول علي بعض الأمور التي ساعدتها علي النسيان والوصول إلي بر الأمان والشكر باستمرار، لكن ما قدم أمرا ثوريا، تمثل في مشهد

أدبي استثنائي بينها وبين صديقتها العزيزة، حيث سألتها الصديقة عن أمانيها السابقة، فأخبرتها بأنها قد نست كل شيء، نست الأماني ونست الماضي، ولم تعد قادرة سوي علي مجاراة الحاضر، علي مجاراة اللحظة، اللحظة الراهنة فحسب.

إنك تضخم الأمور أيها الإنسان، فما الحياة إلا يوم وليلة، فعش اللحظة وجهز الخطة، ولكن ما هي خطتك؟ ولماذا تضع خطة؟

ما مشكلتك؟ ما مشكلتك؟

فأنت من وضعت نفسك في هذا المأزق بخطيئتك ونزولك وفضولك، فضولك الغريب، فأنت تعتقد بأن هناك ما يخفي، رغم أن الأمر ليس كما تظن ورغم أن الحياة متاهات متكررة وثقافات متعددة، إلا أن الفضول الثقافي مفيد في الكثير من الأحيان، وهو ما يتحرك ضمن السياق الناجع والأنيق.

فكرة النجم السينمائي المؤثر تضمحل ويقل أثرها، الإنتاج الضخم والفكر المنخفض أمر واضح، السينما الأمريكية تأخد اتجاها جديدا، فيلم بيرو المجنون، غرباء في القطار، جريمة على ضفاف النيل، إنقاذ الجندي رايان، عصابات نيويورك، المغادرون، الرجل الميت، ليال راقصة، الفيلم الوثائقي أبونا واتصاله بطائفة كويفرفول، المورمونية، يوسف إستس، الكنيسة موجودة كمؤسسة قبل ظهور المسيح، النسخة الأصلية مفقودة، الكثير من الأيادي تلاعبت، ترجمة النسخة والتحريف، الحب والاحترام والسلام أمر مهم للغاية بين كل البشر، الغريزة تحركهم في البداية وتؤدي إلي السكن في النهاية ضمن الإطار الراغب في بلوغ الحكمة والرشاد، الأمر الوحيد الذي يفصلنا عن الحيوانات يتمثل في القواعد، علي المرء ألا يعتقد بأن القواعد لن تطبق عليه لأن قواعد الوجود مطبقة علي الجميع قبل أن يبدأ الأمر، شيوخ في ميامي بيتش وقصور فارهة، أوتوسكشوال، الناس ينفقون أموالهم في العالم الثالث علي الطعام والملبس ولا يبقي شيء، كلما زاد الشك زاد التعلق بالعقلانية الزائفة وحاولنا عقلنة ما جعلته العواطف غامضا وضبابيا ومظلما، العواطف تلاعبنا فتضايقنا أحيانا وتفرحنا أحيانا وتجعلنا نتحرك دون مبالاة أحيانا أخري ضمن إطار التناقض الوجداني، العواطف ترغب في التحول إلي أفكار وقد ترغب الأفكار في التحول إلي عواطف والأمر مفعم بالضباب.

كلها أفكار نالت مني في ليلة من الليالي الغريبة التي سيطرت على كينونتي وجعلتني أتنقل بين دهاليز وممرات الدماغ، وبين حجراته التي لا حصر لها، تلك الحجرات الغامضة المتصلة بتحفيزات مفاجئة واستدعاءات ذهنية عشوائية وأفكار غريبة

وغرائز عظيمة وأهداف مبهمة تفقد بريقها بعد الوصول إليها في معظم الأحيان.

أنت تعتقد أنك شديد الذكاء، لماذا؟ هل تم اختيارك من بين كل هذه المليارات؟ هل أنت المختار؟ عمر المختار؟ هل كان جراتسياني مجرم حرب؟ هل أنت مجرم حرب؟

اللعين، فقد تسلل الوسواس إلى ذهني وأحدث لخبطة لا توصف، ولهذا من الضروري أن أتخلص من هذا الكتاب الذي تحمله يدي وأتجه إلى النوم في الحال.

منضدة، كتاب يحمل عنوان "تاريخ ليبيا: صراعات النهب والاحتلال"، ستائر تتحرك بخفة وأصوات طيور تحلق في الأفق، لمسة جمالية تمس القلوب وعود بخور يلاعب الأجواء، وها أنا أمنحك ظهري عزيزي القارئ لأدخل غرفة نومي، فلا تتأملني بينما أحرك ردفي، واشرب بعض الشاي لعله يساعدك على متابعة ما يجري في أفقي.

-٣٠-

ها أنا أجلس مع زوجتي التي حدثتك عنها، عزيزي القارئ، في البداية، زوجتي الحنونة المبجلة الأنيقة ذات الأفق الواسع، وها هو الشيب يلاعبني والعمر يسخر مني، لكن الأمل يضخ الحيوية في قلبي والشغف يشعرني بأنني مازلت على قيد الحياة، لكن أثر الجروح مازال باقيا، إلا أن أمر الجروح مبالغ فيه، فالحياة يوم وليلة، والدنيا تمر في لمح البصر.

تخبرني برغبتها في أن أحدثها عن النجاح الذي حققه فيلمي، فأجلس معها في دفء وجمال لأحدثها عن النجاح والصعود والوصول إلى القمة في ظرف أيام.

"في الكثير من الصدمات العصبية، تتسامى النفس عندما تعجز عن الوصول إلى أهدافها الكثيرة، تتسامى فتتجه ناحية الفنون كالموسيقي والشعر والرسم، ولذلك إذا تتبعنا حياة الكتاب والفنانين والروائيين، وجدنا قصة صراع عظيم، فتترفع النفس وتتجه إلى التفلسف وتزهد مبتعدة عن توافه الأمور، لتعيش في قناعة تامة، ورغم ذلك هناك شرخ غائر بداخلها".

هكذا قال فرويد في كتابه "الكبت"، إلا إنني أحب أن أضيف بشكل من الأشكال، وأرغب في التحدث عن حقيقة أن الكبت موجود بقوة في مجتمعات العالم الثالث التي تغيب المنطقية عنها، فيصبح أبناء المجتمع معرضين إلى فكرة العمل دون مقابل حقيقي، وهو ما يولد صراعا بداخل الإنسان، ولهذا قد تظهر الكثير من المواهب في المجتمعات المكبوتة فكريا وذهنيا وإبداعيا، لكن الإبداع الناجم يكون ضمن الإطار

الفلسفي والفني في أغلب الأحيان. ومن الضروري أن أوضح أن تعميم فرويد يمثل خطأ كبيرا، لأن الترفع قد يأخذ نصيبا في حالات مناقضة لقوله، فالسلطان المتصوف إبراهيم بن أدهم كان زاهدا مترفعا رغم البذخ الذي حوطه، وربما يعامل تولستوي على نفس المنوال، وهو ما يوضح حقيقة أنه من الممكن أن يترفع المرء رغم غياب الكبت ورغم وجود مسارات الإرضاء، إلا أن الكبت قد يتخفى وراء سياق مبهم، رغم كل هذا البذخ، في بعض الحالات.

لقد نال مني الكبت الفني بشكل عظيم، لم أتمكن من ترجمة فني بالشكل اللائق، ورغم ذلك حقق فيلمي الطويل الوحيد نجاحا ماديا ونقديا بشكل ممتاز، وهو ما عوضني عما فات بشكل من الأشكال، لكن الجرح بداخلي يخبرني بأنه كان من الممكن أن أقدم المزيد من الأعمال، ورغم ذلك قد تمثل هذه النغمة الأمر المصاحب لكل إنسان.

كانت الحفلة الافتتاحية للفيلم مفعمة بكل ما هو جميل، حضر نجوم كبار وحضر الأبطال، وقد كان صديقي المصور جميل المحيا وضاء الجبين، رافقني على مدار اليوم والتقط الكثير من صوري وكان سعيدا للغاية، أما أنا، فقد كان قلبي يرفرف، وكانت دموعي جلية، وكانت الشمس تلاعبني من بعيد، لكن السر يكمن في الترقب لا في البلوغ، فقد أفنيت عمري في التنقل والتدرب والكفاح والصعود، لكن بعد أن وصلت إلي القمة متكئا علي عمل سينمائي وحيد، غادرتني اللهفة التي كانت ترافقني علي طول الطريق، فاتضحت الرؤية وأدركت الناموس، فقد كان الأمر متصلا بالسعي لا بالوصول.

كانت الجميلة تنصت إلى كلماتي بإخلاص، وقد غادرت مجلسها ومنحتني حضنا عظيما، فبكيت بشدة وتذكرت الصراع، لكنني سرعان ما تذكرت حقيقة الوجود، تلك الحقيقة التي تخبرنا بأن كل إنسان لديه صراعه الخاص بتقلباته الخاصة، وهو ما يمثل طبيعة الحياة، تلك الطبيعة التي تطبق على الجميع.

الرؤية وأنت عجوز تختلف عن الرؤية وأنت صغير، لكن الأجيال الجديدة صارت تستبق الأمور، لأن العصر الذي نعيشه علمها أن تقتل الفضول باستمرار، رغم أن الحجب أمر مهم، لأنه يسمح للإنسان بأن يعيش كل فترة بعواطفها السليمة وإحساساتها الصحيحة، وهو ما يمثل المنطق المقبول.

فها أنا أحاول أن أعيش عجزي بعواطفه الصحيحة، لكن الإحساس مفعم بالاضطراب، فالتطبيق السليم كثيرا ما يغيب، والخيال أمر والواقع أمر آخر بكل تأكيد.

يسير الإنسان معجبا بنفسه حتى تختبره الحياة، يتحدث عن تقواه ويصف الآخرين بالفاسقين حتى تنال منه بعض لمسات الفسوق، بعض لمسات التمرد، وحينها يدرك الحقيقة وينظر إلى نفسه وإلى الآخرين نظرة سيئة مفعمة بالاستنكار والهجاء، ورغم ذلك قد يكون تقيا لم يرتكب خطأ بالقدر الذي يجعله فاسقا، إلا إنه قد أدرك الحقيقة عبر التعامل مع البشر والإنصات إلى قصصهم، فيجد نفسه أمام أشخاص تائهين لا يعرفون الطريق ولا يفهمون شيئا مما حدث، فيفهم كل شيء ويسامح كل شيء، وهو ما يمثل النطاق الذي لا مناص منه.

سذاجة الإنسان تكمن في اعتقاده بأنه ملاك وتعجبه من أمر الآخرين واعتقاده بأن انتهاك المنظومة الأخلاقية أمر محزن، رغم أن المنظومة منتهكة منذ قديم الأزل، لكن ما استجد على الساحة يكمن في تطور عملية الرصد، لا أكثر ولا أقل، لكن الانتهاك يكون بدرجات، وأقل الناس انتهاكا أكثرهم تقوي وأعلاهم مكانة، وهو ما يمثل المعروف.

فاجتناب الكبائر أمر من الضروري التحلي به، والتحرك ضمن مساحة محدودة من الأخطاء أمر مهم، والسعي في طريق الله بمثابة الأساس، وصفات المؤمن تجعله يتحرك في طريق الله ويؤدي فروضه ويبتعد عن كل ما هو سيء، أما التدين، فإنه يتمثل في الحجب التام والتخلي عن متع الحياة والعمل على أداء الفروض وما يزيد عليها.

من الممكن لعربيد أن ينزل بفتاة خام إلى غياهب الفتنة في ثوان، ومن الممكن لعربيدة أن تنزل بشاب خام إلى غياهب

الفتنة في ثوان، والعواطف قد تأخذ وقتها سياقا لم يكن في الحسبان، ولهذا من الضروري التروي التام.

كانت كلمات من كتاب غريب، عرض أفكارا متوازنة أحيانا، ومختلة أحيانا أخري، لم أفهم الغرض منه، لكنني أدركت بعد التنقل بين عدد من الصفحات، أن الهدف الصريح تمثل في الدعوة إلى الرشاد.

وضعته جانبا وجلست مع زوجتي الموقرة الذكية لأحدثها عن بعض أمور الحياة، وقد تنقلت بين فلسفاتي الغريبة، فأخبرتني بأنه صار من الضروري ألا أعبأ بهذه الفلسفات وأن أتنقل بين مباهج الحياة، فأخبرتها بأن الفلسفة تمنحني لذة لا توصف، ووضحت لها أنها تجعلني أكثر قدرة على التعرف إلى مباهج الحياة رغم السوداوية الكامنة بين طياتها، فضحكت كثيرا ومنحتني قبلة جميلة أخذتني إلى عالم الخيال.

كانت تلعب دور الناظرة في بعض الأحيان، فكنت أتحول إلي طالب صغير ينتظر الجائزة أحيانا ويخاف العقاب أحيانا أخري.

لقد قررت أن أرسل الدعوات من أجل العشاء، كان منزلي بمثابة الملجأ والملاذ، وقد جاءني خمسة أصدقاء وصديقة عزيزة كنت أكن لها كل الاحترام، وقد كنت كاسف البال لسبب مبهم لم يكن في الحسبان، وفي الوقت عينه، كانت هناك آلام وأشجان، لكنني حاولت التخلص من كل هذا الهراء وعمدت إلى التحدث مع الأصدقاء في تعمق وانسجام.

كانت الوليمة عظيمة، فقد قدمت بعد مجهود كبير أنهك زوجتي وجعلها في انتظار المجاملة والتأكد من كون الأكل شهيا ولذيذا، وقد نالت المجاملة وحصدت المكافأة، تلك المكافأة المعنوية التي يسعى وراءها كل إنسان. فالعقل في حاجة إلى الصعوبات والتقدير والإخلاص لشيء ما، مهما كانت الماهية ومهما كانت الأشكال.

جلست أحدثهم عن العواطف المكبوتة، وعن حقيقة أنها تعود بشكل أسوء، كما يقول فرويد. حدثتهم عن فيلم "القيامة الآن"، وتنقلت بين أفكار فيلم "في إطار الشك" لجين هاكمان ومونيكا بيلوتشي ومورجان فريمان، وقد كانت الأجواء مفعمة بالدفء والإنصات، فكنت أنصت إليهم وكانوا ينصتون إلي، وهو ما أدي إلى الشعلة العظيمة التي أنارنا بها ليلتنا ورسمنا بها ضحكتنا ووطدنا بها بهجتنا.

هل ضاعت جهودنا سدي؟ هل عجزنا عن الوصول إلى القمة؟ هل حققنا أقل مما ينبغي؟ هل أدي بنا غرورنا إلى طريق الظلمات

والهلاك؟ هل منحنا أنفسنا وسام القوة والذكاء دون استحقاق؟ هل كنا مغفلين؟ هل نال الشيب منا دون إنذار؟

هكذا أخبرتهم، بينما جلسوا يضحكون، فقد كانت الضحكات تتعالي في الأجواء، وكانت الشموع تزين الأرجاء، وكانت زوجتي تضحك دون توقف، كانت تقهقه، كانت ترسل القهقهات.

جاءتني حالة اختبال، اعتليت الطاولة وأخبرتهم بأن أينشتاين قد أخرج لسانه في يوم من الأيام ليبلل طرف رسالة بهدف إغلاقها، وربما كان يقوم بذلك من أجل الخروج من دائرة الملل، وربما كان يحاول أن يعبر عن جنونه الفيزيائي، لكنني سرعان ما كشفت لهم عن شيء غريب، بهدف التعبير عن جنوني الفني المهيب، فانفضوا من حولي في سرعة تامة، ونالت منهم الصدمة.

"لقد هتره الكبر، أفقده التفكير العميق عقله، استخف بالكينونة وصار في حاجة إلى قيلولة".

هكذا تحدثت صديقتي العزيزة، تلك الصديقة التي خافت وهربت مع من هربوا، لكن زوجتي العزيزة مكثت معي تدعمني، وقد اصطحبتني إلى سريري وغطتني.

جاءني رجل في المنام، حدثني عن إرادة القوة وعن حقيقة أن نسيان المرء لغايته غباء، فسكت قليلا ثم تنقلت بين بعض الكلمات.

"أيها الإنسان، ما حياتك إلا يوم وليلة، وما أنت إلا أداة، فاقتل غرورك واشكر الإله، واعلم أن كل ما فعلته قد سجل، حتى ولو شملتك الرحمة في نهاية المطاف، تلك الرحمة التي أتمناها لكل إنسان، لكل مؤمن خير في هذا الزمان".

هكذا كانت كلماتي بينما كنت أتجول بين متاهات النوم التي لا حصر لها. وعندما استيقظت، وجدت زوجتي إلى جانبي تحدثني برقة وتمنحني كوبا من الشاي الكيني، فابتسمت لها وسألتها عن أخبارها، فشكرتني واتجهت إلى المطبخ في سرعة تامة لتعد سلطة السيزار اللذيذة.

وقد جلست أمام مكتبتي، وأمسكت بكتاب ضخم مصور يتحدث عن التاريخ الفني للجسد، وأخذت أتنقل بين صفحاته العديدة محاولا التعرف إلى ما يدور عنه، وبعد أن انتهيت، انتقلت إلى كتاب يرصد فتيات البوستر وآخر يرصد أعمال بولانسكي، وقد وقعت عيني على كتاب غريب قد دس بين كتبي، وعندما فتحته، وجدت ما لم يكن في الحسبان، كانت صفحاته بيضاء قد نال منها التراب، لكنني عثرت على صفحة واحدة ذات رسالة واضحة.

كانت الرسالة تقول: "يا عزيزي، اعلم بأنه لا يوجد ما يفوتك في هذا العالم، وتعلم أن تتعامل مع نفسك بموضوعية كي تطورها، ولا تتفاعل مع الكلمات بكل مشاعرك، فالكلمات تؤخذ علينا ضمن إطار الحساب، لكنها شيء صغير بالنسبة إلي الوجود، واجعل أفعالك مطابقة لكلماتك قدر الإمكان، وتقبل طبيعتك البشرية، وركز في اللحظة التي تعيشها، فما حياتك إلا اللحظة الراهنة، ولا تتجاهل الحقيقة التي تخبرنا بأن الحياة قصيرة تمر بالبشر بينما يخططون من أجلها، لأنها حقيقة

ستساعدك على الاستمتاع باللحظة قدر الإمكان، واطلب الرحمة وتعامل مع الجميع بحب واحترام، وتعلم الاستقامة وقلل التمرد، فبهذه الصورة تصبح عبدا من الدرجة الأولى وإنسانا صادقا يجيد التعامل مع متطلبات الزمان".

ذرفت دمعا سخينا، تذكرت جدتي وكلماتها وملاحتها، لكن ما قطع اللحظة وانتقل بي إلى بيئة أخري، كما هو الحال مع كل إنسان، حيث التأرجح بين بيئات ليست في الحسبان، تمثل في، ظهور ابنتي الجميلة على الساحة بشعرها الأسود وخصلاته الخلابة، حيث أحضرت لنا بعض الأيس الكريم من هاجن داز ، وجلست تشاركنا النشوة.

تبتعد الكاميرا عن المنزل، وها هو منظور عين الطائر يلاعبنا، بينما نجلس بين الزهور الوردية، نتحدث في غفلة ونتبادل أطراف الحديث وكأن العالم يدور حولنا، لكن إسدال الستار قد حان وقته، وها هي كلمة "النهاية" تلوح في الأفق.

"تمت"

توضيح

الأفكار المعروضة تخص الشخصيات وحدها وعالم الخيال وبيئة التضخيم من شأن القوالب الأولية.

سرعة التنقل بين الأفكار وطريقة العرض المتبعة، أمر مقصود لدعم الجانب السريالي قدر الإمكان.

الكاتب يحب أن يعيش هذه الشخصيات على الورق ويعشق التنقل بين الشخصيات المضطربة، وتمثل عناصر العزلة والهوس والاضطراب والصراع الداخلي والروحانية والمادية والشهوات والوهم البشري أمرا محوريا وواضحا في أعماله.

الكاتب يؤمن بأهمية التواصل البشري ونشر مفاهيم الحب والسلام والتفاهم بين الناس، ويري أن السياق السليم لبناء الحضارة الحقيقية يتمثل في التحلي بالأخلاق والتعامل بسلام وتطوير الذات عبر انتهاج النظرة الموضوعية قدر الإمكان.

الكاتب يؤمن بأهمية السعي والعمل من أجل الدنيا والآخرة، لكنه يري أن النفس المتوازنة تحتاج إلى تقبل فلسفة التعمير والتنكيس والتصالح معها بشكل تام.

حالة الانفصال بين النصح والفعل، أمر مقصود في أعمال الكاتب، وهي حالة مستمدة من السياق الديني الذي يصف الإنسان بالمخالف لقوله في بعض المواضع.

تأملات

التناقض الوجداني

يتمثل التناقض الوجداني في وجود عواطف إيجابية وسلبية تجاه شيء أو شخص أو سياق ما، وربما يشمل الأمر تجربة الإنسان بشكل عام، ويظهر الأمر على هيئة اتحاد بين النوعين في نفس الوقت. من الضروري أن أوضح أن هناك سياقا نفسيا يخص التناقض ويتم دراسته بشكل متعمق، إلا أن هذا السياق يعبر عن الحالات المتطرفة التي يمثل التناقض الوجداني فيها أمرا دائما لا يفارق المرء ولا يغادره. لكنني أنظر إلى التناقض الوجداني على أنه أمر طبيعي، ولهذا من الممكن أن يتم إدراجه ضمن المقياس العاطفي البشري، فليس من الضروري أن يتخلص المرء من التناقض الوجداني حينما يباغته، لأن شأنه شأن الفرح أو الحزن، وهو ما يجعله أمرا مقبولا ضمن منظومة الأحاسيس ككل. فمن الطبيعي أن يشعر المرء بالفتور حيال التجربة بأكملها، ومن الطبيعي أن تراوده مشاعر إيجابية وأخري سلبية في الوقت عينه، ومن الضروري ألا يسمح للفتور بأن ينال منه، ومن المهم أن يتخلص من هذه الحالة بالبحث عن الأمور التي قد تساعده على المواصلة. لقد ظهرت الكثير من الكتب التي تتحدث عن هذا الشعور وكأنه أمر غير طبيعي، لكنها لم تكن في الموضع الصحيح، ولم تقدم الحلول الواضحة، لأن الأمر لا يحتاج إلى حل في حقيقة الأمر، حيث أنه يعبر عن أمر مقبول وطبيعي كما قلت مسبقا. من الممكن أن يمثل التناقض الوجداني الذي يتحرك ضمن الإطار المقبول نواة لخلل كبير، إلا أن حركته ضمن السياق الطبيعي قد تحمل الكثير من الخفايا. فمدمن المخدرات يدرك حقيقتها وحقيقة أنها مدمرة ويحمل مشاعرا سلبية تجاهها، لكنه في الوقت عينه يحمل مشاعرا إيجابية تجاه تأثيراتها الوقتية، تلك التأثيرات التي

تتحول إلى دمار عظيم علي المدي البعيد. في هذه الحالة، من الممكن أن نرصد التناقض الوجداني، لكن العواطف السلبية مكبوتة، حيث يعمل الفرد على تنكيرها وإخفائها، أما العواطف الإيجابية، فإنها معلنة من قبله، وهي عواطف متصلة بإرضاءات وهمية مرتبطة بكيمياء الدماغ، تلك الإرضاءات التي تحمل هدفا وقتيا عارضا سرعان ما يعجز المرء عن مواصلته ضمن السياق البعيد. إن التوازن العاطفي في هذه الحالة يعد أمرا صعبا، واضطراب العاطفة قد يؤثر علي جودة التجربة التي يعيشها الفرد ككل، لأنه يتجاهل شيئا من أجل شيء، يتجاهل سياقا بعيدا من أجل سياق قريب، وهو ما يمثل المعروف. قد ينتج التناقض الوجداني مع تجربة عمل علي سبيل المثال، فقد يجبر المرء علي الذهاب إلي عمله كل يوم رغم كونه مرهقا وغير مثمر، وهو في هذه الحالة يكبت المشاعر السلبية لكنه يكشف عنها في بعض الأحيان ضمن إطار الشكوى أو السخرية، أما المشاعر الإيجابية، فإنها تكون موجودة، لكن بصورة بسيطة، وغالبا ما ترتبط بالمرتب، حتي ولو كان بسيطا، لأن العقل يرغب حينها في تحويل هذا المرتب البسيط إلي طعام أو شيء قد يسعد الذهن ويحرك الكيمياء بشكل من الأشكال، فيصبح الأمر أشبه بحلقة مفرغة لا يستطيع المرء أن يغادرها، إلا حينما تتاح له فرصة جديدة، فرصة جديدة قد تمنحه تجربة أفضل، وحينها يصبح السياق العاطفي أكثر تطورا، وقد يأخذ شكلا جديدا بصورة واضحة. من الممكن للتناقض الوجداني أن ينتج ضمن إطار متصل بأمور ثقافية، فالفرد المحافظ قد يحمل مشاعرا سلبية تجاه الغريزة الجنسية إذا تم الإرضاء خارج الإطار المناسب، وقد يحمل مشاعرا إيجابية تجاهها إذا تم الإرضاء داخل الإطار الصحيح، لكن عملية الخلط قد تحدث علي المدي البعيد، فيحمل الفرد مشاعرا إيجابية وسلبية في الوقت عينه، رغم التوظيف داخل الإطار المقبول، وهو ما يظهر

علي هيئة اطمئنان بكون الأمر مقبولا مع مباغتة من قبل المشاعر السلبية ليوصف بالقذر أو شيء من هذا القبيل، فينظر الإنسان في هذه الحالة إلي النشاط علي أنه سيء رغم كونه مقبولا، إلا أن الأمر متصل بما أخذ سياقا فيما مضي وأثر علي العقلية بكل تأكيد، وقد يحمل الأمر سياقات عديدة تحتاج إلي تعمق وتنقل بشكل واسع. إن التناقض الوجداني حيال مجهود الفرد أمر شائع، فالإنسان كثيرا ما يتساءل حيال عمره فيما أفناه، وقد يصل الأمر إلى سياق كبير إذا مر العمر دون إنجاز واضح، وقد تمثل أزمة منتصف العمر سياقا من السياقات المختلفة التي تخص الأمر. قد يؤثر موقف واحد في طريقة تفكير الفرد وقد يتلاعب الأمر بعواطفه، مما يؤدي إلي عواطف إيجابية وسلبية في الوقت عينه، كمن يحدث له شيء سيء في عمله، فيحزن من اليوم الذي التحق فيه بهذا العمل، إلا إنه يجمع بين السياقين الإيجابي والسلبي، لأنه مجبر على ذلك، فقد أفني عمره في التعلم من أجل هذا العمل، وموقف واحد أقحم بداخله عواطفا سلبية، لن يجعله يتخلى عن ذلك. الأمر متصل بعملية الترجمة التي تتم بين العواطف والأفكار. فالعواطف ترغب في البزوغ، والأفكار تلاعبنا محاولة التخلص من الضغوط الدخيلة، وفي الوقت عينه قد يأخذ الأمر سياقا عكسيا في بعض الأوقات، وهناك اتصال بالكيمياء والهرمونات بكل تأكيد. قد يؤدي التناقض الوجداني إلى الكثير من التصرفات غير الواضحة، وقد يدفع المرء إلى ارتكاب الكثير من الحماقات، وربما يعمد إلى الهروب، عندما يصل الأمر إلى درجات عالية لا يمكن تحملها، ورغم ذلك من الممكن أن يكون الهروب ضمن السياق المقبول في الكثير من الحالات، ذلك الهروب الذي لا ضرر فيه ولا ضرار.

فلسفة التعمير والتنكيس

لا يختلف التعمير كثيرا عن التنكيس ضمن البيئة التجريدية المفرغة من الشعور، فالأمر واحد بالنسبة إلى الوجود، ويمثل سياقا طبيعيا لا يحتاج إلى مجهود، لكن الماهية قد تمثل أمرا مختلفا حينما يتعلق السياق بنظرة الإنسان، فالبيئة الداخلية تختلف وقتها بكل تأكيد، فما يحرك الإنسان أثناء التعمير يتلاشى ويبدأ في التصادم والتشبث بأي جديد حينما تحل بيئة التنكيس. الانشغال بعملية التعمير يجعل الإنسان لا يفكر كثيرا في بيئة التنكيس، لكن ضربات التنكيس قد تلاعبه من بعيد بين الحين والآخر، خاصة حينما يتوفر الوقت الذي يسمح له بأن يتساءل حيال تجربته وحيال المجهود المبذول والنتاج المحصود. إن فلسفة التعمير والتنكيس أمر ملحوظ في أعمالي، وهي فلسفة تحاول أن ترصد حقيقة التجربة البشرية، تلك التجربة المتصلة بدفع ضريبة الأكل من الشجرة، وربما تمثل البداية أمرا غير مفهوم، وقد ننظر إليه علي أنه بسيط، لكنه ليس ببسيط، لأن الفعل نفسه يتصل بمخالفة الأمر، مهما كانت ماهية السياق، ومهما كانت ماهية ما منع عنا، فعندما يكون هناك أمر إلهي، يصبح من الضروري اتباعه، وإلا أصبح الأمر معقدا وخارج الإدراك، لكن الإدراك يناسب الماهية البشرية في الوقت عينه، فالخلقة متصلة بسياق إدراكي ذي طابع محدد، وعملية المبالغة أو تجاوز الحدود وهم كبير، فالمعرفة متصلة بإمكانيات تمكن الإنسان من بلوغ شيء محدد، وهو ما يمثل السياق. والفرق بين ماهية الكيانات أمر قادر علي استجلاب أحوال الحجب فيما يخص كل شيء، فيصبح الكيان في حاجة إلي وسيلة جديدة ليفهم الكيان الآخر، لكن الكيانات كلها في حالة تشاحن شديد، وهو تشاحن يحركها ويدفعها إلى الأمام، ورغم ذلك قد تكون هناك حالات انسجام في

الكثير من الأحيان. ومن المهم أن أوضح حقيقة أن التنكيس يمثل بداية الاستعداد للخروج من دائرة المعرفة التي أقحم الإنسان نفسه فيها، فيبدأ الغرور في التلاشي ويبدأ الإنسان في إدراك الحقيقة، وهو ما يمثل السياق المتكرر الذي ينال من كل إنسان، إلا أن هناك اختلافا ودرجات متعددة، وهو ما يتصل بدرجة الغرور وطبيعة التكالب وماهية الشخصية بكل تأكيد. التعمير في حد ذاته يمثل أمرا رائعا، حيث أنه يرضي فضول الإنسان بشكل ما، لكن إرضاء الفضول لا يتحقق بالشكل الكامل أبدا، وهو ما يؤدي إلى مغادرة التجربة دون الشعور بالإرضاء الكامل فيما يخص الفضول، لأن التجربة أكبر بكثير من أن يدركها عقل صغير.

أفكار

حركة الإنسان متصلة بمحاولات إظهار القيمة والبحث عن المتعة، وهي حلقة مفرغة تقلل الروحانية من حدتها وتعمل على تقبلها بنجاحاتها وإخفاقاتها.

الترجمة عملية محورية للغاية، وعمود من عمد التواصل البشري. ورغم ذلك، قد تفتقر إلى الدقة في الكثير من الأحيان، وقد يتسلل التلاعب إليها بسهولة.

ما يتناقله الناس بواسطة الترجمة، يحرف ويفقد صحته وبلاغته مع الوقت. فالترجمة تنزع عن النص بلاغته وتجعله عرضة إلى التلاعب والتحريف، في معظم الأحيان.

البشر يجاملون أنفسهم بسخاء دون استثناء، لكن الاختلاف الجوهري يكمن في درجة الإصرار ومقدار الموضوعية المكتسبة مع الوقت.

من يتحدث عن إنجاز الفرد واهم، ومن يتحدث عن إنجاز الجمع فاهم.

في معظم الأحيان، يكون الإلحاح المنتهج من قبل فرد بهدف إثبات فكرة والتأكيد عليها أمرا مرتبطا بالدواخل لا أكثر ولا أقل. فحينها، تهدف محاولاته وكلماته إلى ترسيخ أفكاره الخاصة وتبرير سلوكياته قبل أي شيء، وفي الوقت عينه قد يعتقد أنه بهذه الصورة يعمل على تغيير الفكر المنتهج من قبل فرد آخر.

إن الإنسان كائن يتعود على كل شيء ويعمد إلى التكرار بصورة واضحة، وقد يكون النصف الثاني من حياته تكرارا للنصف الأول كما يقول دوستويفسكي. فما بث من فكر سيرسخ مع الوقت، وسيدافع عنه صاحبه بقوة وسيهاجم من ينتقد سلوكياته حتى ولو كانت مصبوغة بصبغة البطلان والخطأ ضمن الإطار الأخلاقي والواقعي، ورغم ذلك يبقى الإنسان مقيدا بقوانين الوجود، تلك القوانين التي لا مهرب منها.

فمن يهرب من منظومة، يعتقد أنه قد صنع كينونة حرة، لكنه في حقيقة الأمر لم يفلت من شيء، لأنه لا يمثل سوي عنصر يتحكم فيه القدر كما يتحكم في كل شيء. فالإنسان يعتقد أنه يتحرك بحرية كاملة لكنه في حقيقة الأمر مقيد بقيود القدر وباختياراته، وعليه أن يستمتع بذلك وعليه أن يصغي إليه وإلا كانت أموره أشبه بالرغوة.

فالتجربة أشبه بالبحر، وركوب الأمواج أمر لا مهرب منه، وتقبلها أمر جبري لا مناص منه. فالأمواج تتتابع وتتلاحق وتحل كل منها محل الأخري، وفي نهاية المطاف تتلاشى الكلمات التي كتبت على الرمل، ورغم ذلك من الضروري إدامة الكتابة، وهو ما يمثل السياق الناجع على المستوي النفسي.

واختلاف الفكر أمر ملحوظ، ورغم ذلك فإنه من المعروف أن هناك صورا معرفية صحيحة وأخري خاطئة وأخري مشوهة وأخري مشبوهة وأخري مضطربة، إلا إنه من الملاحظ وجود الاختلاف بهدف دعم التشاحن والسريان، وهو ما يمثل السياق المرغوب والاختبار الذي يهدف إلى الفلترة. وفي النهاية، يبقي الاحترام أمرا ضروريا ويظل السلام عنصرا أساسيا بكل تأكيد.

من الأحاسيس أو العواطف المعقدة، الغيرة، وهي إحساس يرتبط بالكثير من الأحاسيس الأخري أو عاطفة تسمح لمشاعر أخري بأن ترافقها وتلازمها أو تتبعها. فمن الممكن أن تؤدي إلي الشك أو الغضب أو الخوف أو الرغبة في التشاحن والمنافسة.

قد تتشكل الغيرة كنتيجة للافتقار إلى غياب الثقة في النفس، وقد تتعمق بسبب النظرة السيئة التي يتبناها الفرد تجاه نفسه مما يؤدي إلى مراقبته لحيوات الآخرين واعتقاده بأن هناك ما يفوته في هذا العالم. لكن الغريب في الأمر يكمن في كون هذا الشعور قادرا على إدخال الفرد في صراعات لا طائل منها، خاصة على الصعيد الداخلي، وهو ما يثير التهكم والسخرية.

فالغيرة من العواطف التي يجب على الإنسان ألا يسايرها بأي شكل من الأشكال، لأنها تعيق الألفة بين الناس بعد أن يحاول العقل التعامل معها مصدرا الكثير من الكلمات التي لا تليق أو التي تحمل وراءها حقدا أو تهكما.

فمجاراة ذلك الشعور، تؤدي إلى تأصل الخطيئة وتعمقها، أما عملية الارتقاء وتقليل الخطأ والاعتذار وعدم الإصرار، فإنها سلوكيات تمثل الحل المأمون والفكر الحصيف الذي يعمل ضمن الإطار الذي يدعو إلى إثراء التجربة الإنسانية حتى ولو كانت ذات أجل وحدود.

ولا تعني كلماتي أن الأمر يسير ولا تحاول أن تبلغ مثالية في هذا العالم لأنه جبل علي ألا يكون مثاليا، لكنها تبتغي الكشف عن السياق المرغوب لا أكثر ولا أقل، إلا إنه من المعروف أن

أكثر البشر يواكبون عواطفهم بصورها المختلفة، و لا يفلح في كبح الجماح سوي القلة، وهو ما يمثل الموضوعية والمنطق.

من الممكن تلقف تجربة الإنسان ورصدها باقتضاب عبر اللجوء إلى شقى الحركة المتمثلين فى محاولات إظهار القيمة والبحث عن المتعة، وهو ما يظهر عند تأمل حركة الفرد الذي يحاول باستمرار أن يسطع معتمدا على استجلاب أي حال ممكن من أحوال السبق والتميز، وفى الوقت عينه يطارد المتعة ويتعجب من عجزه عن بلوغها ضمن وتيرة مطولة قادرة على التعمق والتأصل لا اللحظية والسطحية، ورغم ذلك تضفى الماورائية على التجربة حالة من الغموض ذات سطوة وفاعلية قادرة على التبلور والتلون بصبغة الانفساح لتشمل الكيان العاطفى عند الإنسان بصورة جلية. إن الإنسان يكتشف مع الوقت حقيقة أن الأمر بأكمله متصل بالمكابدة المرتبطة بتحقيق التوازن بين القيمة والمتعة، ويدرك مع التقدم إلى الأمام المنطق الذي يخبره بأن حريته متصلة بحدود وعيه وبأن بلوغ التوازن بين الأفكار والعواطف أمر يعوز الحكمة والقناعة، وهو ما يمثل أمرا لا يدرك بسهولة ولا يرصد بمرونة. ولكن هل تتحرك العواطف أولا ثم تتدفق الأفكار كوسيلة للتعامل معها والتعبير عنها؟ أم تمثل الأفكار الاستهلال بينما تمور العواطف بعد ذلك؟ .. أعتقد أن العواطف تمثل المحفز والطليعة ضمن الإطار المعياري المباشر.

ليس بالضرورة أن يكون الدفاع عن فكرة متصلا بمحاولة الفرد الوصول إلى ثمرة يتشاركها الجميع، فربما يكون الأمر مرتبطا بإرضاء الغرور الشخصي واستجلاب أحوال الحماسة، لا أكثر ولا أقل.

لا يعبر تقبل المرء لكل شيء عن سعة الأفق بشكل دائم، فمن الممكن أن تكون عملية التقبل الشامل ناجمة عن خمول أو هروب.

أكبر معروف من الممكن للإنسان أن يقدمه إلى نفسه، يكمن في التخلص من النرجسية و الغرور و الهوس بالنفس و الذاتية المفرطة.

إنه لأمر جميل أن يتقبل الإنسان كل البشر بمختلف ثقافاتهم و ألوانهم. لكن الأجمل يكمن في قدرته على الحفاظ على منظومته و معتقده، وفي تركيزه على طريقه، ذلك الطريق الواضح المتصل بطاعة الإله، و المرتبط بالحقيقة التي لا تعرف الزيف و لا تدرك الذاتية و لا تفهم التجديف.

كلما زادت القدرة على التخيل، استفاض العقل فنا.

ستلاعبك التجربة الخارجية بأضوائها، وستلهث كثيرا وراءها، لكنها مسألة وقت قبل أن تدرك الحقيقة، تلك الحقيقة التي لا مناص من بلوغها، تلك الحقيقة التي تخبرنا بأن التجربة داخلية قبل أن تكون خارجية.

كلما قل هوس المرء بنفسه، أحس بخفة، وكلما زاد الإحساس بالخفة وحسن استغلالها، لان المرور وتوطد التكيف مع كل الألوان.

الإنسان عبارة عن أطوار، وحياته متصلة بدواخله قبل أن تتصل بالخارج.

إن محاولات الإنسان المتعلقة بإظهار الفوقية، أمر يستحق الدراسة بتعمق، فهناك ما يدفعه إلى الإحساس بأنه متميز عن الآخرين، على الصعيد الأخلاقي أو العلمي أو الديني أو الثقافي أو الفكري أو المادي أو التفاعلي، لكنه رغم ذلك قد يستجلب أحوال الفوقية ضمن سياق الجماعة، وهو ما يمثل التطور الذي يعبر عن السياق الناجع القادر على الإلمام بدفء التجربة الاجتماعية والتفاعل ضمن إطار يشمله الاحترام وتسيطر عليه المحبة، ولا يقلل هذا السياق من أهمية ارتقاء الفرد بنفسه، لكنه يدعم الارتقاء كفعل فردي وكرغبة جماعية.

ذكريات مخرج سينمائي


نوفيلا
ذكريات مخرج سينمائي
معتز عرفان
إعلامي وكاتب
ما الإنسان إلا أيام،
وما الحياة إلا فيلم قصير،
محظوظ من عاشه بحكمة مستمتعا باللحظة.